تأثير الإيمان في تنمية الشعور بالمسؤولية من خلال رسائل النور

"بحث مشترك"

(PP 113 - 130)
http://dx.doi.org/10.21271/zjhs.22.1.9

د.عمر علي محمد **د. فرهاد إبراهيم الشواني**
كلية العلوم الإسلامية / ج. صلاح الدين- أربيل
farhad976@yahoo.com omerlhony@gmail.com

الاستلام :2017/08/21
القبول : 2017/09/17
النشر: 2018/03/26

مُلخَّص

الحمدلله الذي أنعم علينا بالإيمان ،وحقق العدل فينا بقوله:[كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ] (المدثر/38)، وأرشد الإنسانَ الى الإسلام، وخلق فيه النظر والبحث، ليكون أهلاً للمسؤولية، والصلاة والسلام على هادي الإنس والجان، وعلى آله وصحبه وأمته، الماضين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالعدل والحكمة والإحسان. وبعد:

فهذا البحث جهد متواضع لبيان تأثير الإيمان من خلال القواعد والأفكار المبثوثة في رسائل النورعلى الأفراد والأسر والمجتمع لترسيخ مبدأ الشعور بالمسؤولية لدى الإنسان وحمل الأمانة الإلهية في جميع الجوانب الحياتية والأمور المعادية، مسؤوليةً حقيقيةً بعيدة عن الادعاء والفتور، والذي عُنونّ بـ(**تأثير الإيمان في تنمية الشعور بالمسؤولية من خلال رسائل النور).** وهو مقسَّم على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ،أما المقدمة ففيها أسباب الاختياروخطته، ثمّ تأتي المباحث الأربعة كما يأتي:

المبحث الأول: علاقة الإنسان بالمسؤولية في رسائل النور، وذلك في مطلبين: الأول: مبدأ(المسؤولية) في القرآن الكريم والسنة النبوية. بينما الثاني:الإنسان والمسؤولية في رسائل النور.

والمبحث الثاني: أنواع المسؤوليّات في رسائل النور في مطلبين: أولاهما: المسؤولية أمام الخالق العظيم . والثاني: المسؤولية تجاه المخلوقات .

بينما المبحث الثالث يتطرق الى بيان :الشعور بالمسؤولية (مقوماته ومعوقاته) في الرسائل من خلال مطلبين:

الأول: العوامل المقوّية للشعور بالمسؤولية في الرسائل النور، والثاني: معوقات الشعور بالمسؤولية فيها.

وأخيراً: المبحث الرابع: القواعد النورية في فقه المسؤولية ونماذج فيها، كذلك في مطلبين: الأول: قواعدٌ نورية في الوصول للشعور بالمسؤولية. والثاني: نماذج لفقه المسؤولية في الرسائل.

ثمّ ختُم البحث بخاتمة أهم الاستنتاجات ، راجياً من الله تعالى ان تكون مفيدة ومصيبة وسبب هداية وتوفيقٍ من الله عزوجل، وهو تعالى الموفق للصواب.

الكلمات الدالة: (المسؤولية، الإيمان، الدراسات القرآنية، الدراسات الإيمانية، رسائل النور، النورسي).

1 - المقدّمة :

لحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، أما بعد: فإن شعاع الإيمان إذا تسرب إلى القلب أصبح الجسد ربانياً كالمشكاة الساطعة ضياؤها تنير ما حولها من الموجودات، فيتبدل حالها من المأتم العمومي ضحّاكةً مستبشرة، وغنّاءة بالأغاريد تترجم سرّ ذلك الضياء النافذ إلى تلك المضغة التي رقَّت، فأسبلت ستار التقوى على الجسد حتى تصير الأفعال والحركات والسكنات منتظمة تسير على منهج الإله الحفيظ الذي تجلى بأسمائه الحسنى، ومن هنا كان الشعور والحس النابع من القلب مسيطراً على الإنسان، متسلماً زمام الجوارح يحركها نحو مرضاة الخالق جل وعلا، ومن شأن ذلك أن يعود النفع إلى العالم بأجمعه، فينتظم الحال، ويستقيم المآل وتنغمر الأرض بالسعادة، وتزهو بالأمن في ظل ذلك الإيمان الذي طالما غذى الضمير الميت بالحياة.

ومن هذا المنطلق فإن المتأمل في رسائل النور، والناظر في طياتها ليعلم حق اليقين أن الإيمان الحقيقي له دوره الواضح في تنمية الشعور بالمسؤولية، وتوضح ذلك شواهد كثيرة تاريخية وواقعية من أبرزها سرّ التحول والتغيير الذي شهده الصحابة- رضوان الله تعالى عليهم- ومن بعدهم لمّا أسلموا وتمكن سنا الإيمان من قلوبهم فأصبحوا ربانيين يعمرون بلاد الله تعالى

ويحكمون عباده على بصيرة، فلم يكن همهم أنفسهم فحسب بل كان همهم انتشال العالم من وحل الخبائث، وإنقاذهم من المكوث في أخاديد الباطل وغيابات الجهل.

فالإيمان يرسخ دعائم الشعور بالمسؤولية لدى الساعين إلى الظفر بالفوز في الدارين، ونلتمس هذا الأمر لدى الملتزمين بالدراسة العلمية والعملية لرسائل النور، ونلامسه أيضاً في ملهمها الإمام النورسي (رحمه الله) الذي ضحى بحياته كلها شعوراً منه بهذه المسؤولية الملقاة على عاتقه بل جعل خدمة عموم الخلق من أبرز ملامح عمله الدعوي فكان لسان حاله {إِنْ أُرِيدُ إِلاّ الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}(هود/ 88)

إذ يقول:" فالإيمان نور لوجدان البشر وشعاع من شمس الأزل يضئ دفعةً ملكوتيةَ الوجدان بتمامها، فينشر اُنسية له مع كل الكائنات، ويؤسس مناسبة بين الوجدان وبين كل شئ، ويلقي في القلب قوة معنوية يقتدر بها الإنسان أن يصارع جميع الحوادث والمصيبات، ويعطيه وُسْعةً يقتدر بها ان يبتلع الماضي والمستقبل، وكما أن الإيمان شعاع من شمس الأزل؛ كذلك لمعة من السعادة الأبدية أي الحشر، فينمو بضياء تلك اللمعة بذور كل الآمال، ونواة كل الاستعدادات المودعة في الوجدان، فتنبت ممتدة إلى الأبد، فتنقلب نواة الاستعداد كشجرة طوبى". (إشارات الإعجاز: 49)

فالله سبحانه وتعالى قد أودع في الإنسان قابليات عظيمة، واستعدادات كثيرة ليؤدي مهمته كخليفة في الأرض على أتم وجه، وبذلك ترتقي حضارته، ويعلو شأنها، وتسمو أرواح ساكنيها بالغة النجوم مادام الكلُّ قد عرف وظيفته، والحس بالمسؤولية تجاه ما وكِّل به، "فالنفس أدنى من الكل، والوظيفة أسمى من الكل"كما يقول بديع الزمان. (المكتوبات: 399)

فرغبةً في تنمية الحِس بالمسؤولية، وشوقاً واسعاً في البحث في طيات رسائل النور عن جواهرها النفيسة، ودررها الفريدة المستنبطة من القرآن الكريم وسنةالرسول الأكرم(عليه الصلاة والسلام)، رأينا من الضرورة بأن نقف على موضوع حيوي عكست تجارب الإمام النورسي الروحية والإيمانية، ووضحت لنا كيفية تحمله وكذا طلاب رسائل النور المسؤولية في نشر حقائق القرآن الكريم ، لذا كان الموضوع يتصدره عنوان وهو:(دور الإيمان في تنمية الشعور بالمسؤولية من منظور رسائل النور).

هذا واقتضت طبيعة المادة العلمية للبحث تقسيمها إلى تمهيد وأربعة مباحث بعد المقدمة ، فالأول: مخصَّص للحديث عن علاقة الإنسان بالإيمان والمسؤولية في مطلبين، وسُلط الضوء في المبحث الثاني على أنواع المسؤوليات كذلك في مطلبين اثنين، وأما المبحث الثالث فقد كان الحديث عن أبرز المعوقات التي تعيق الشعور بالمسؤولية، وأما رابعها فكان الحديث عن الشعور بالمسؤولية مقوماته ومعوقاته في مطلبين، وفي المبحث الاخير والرابع بيانٌ لعددٍ من القواعد والنماذج المذكورة في رسائل النورفي مطلبين أيضاً، تبياناً وتطبيقاً لمنهج النورسي في مسعاه وهمومه وهممه الإيمانية تجاه نفسه أولاً، ثمّ الإنسانية جمعاء، وختم البحث بخاتمة عُرض فيها أهم النتائج، وقائمةٍ للمصادر والمراجع مرتبة حسب الحروف الهجائية.

وختاماً نسأل الله تعالى أن يوفقنا ويبارك في عمل الجميع هماً وهمةً وهموماً ولايجعله هباءً منثورا، وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمةً للعالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

1-2 المبحث الأول : علاقة الإنسان بالمسؤولية في رسائل النور:

2-2 المطلب الاول: مبدأ (المسؤولية) في القرآن والسنة:

المَسْئوولِيَّة لغةً:[مفرد]: مصدر صناعيّ من مَسْئول: ومن ذلك "المسئوليَّة تقع على عاتقي- يستطيع تحمُّل مسئوليَّات كبيرة" ، ألقى المسئوليَّةَ على عاتقه: حمّله إيَّاها- مسئوليّة أخلاقيّة: التزام الشّخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً- مسئوليّة جماعيّة: التزام تتحمّله الجماعة- مسئوليّة قانونيّة: التزام بإصلاح الخطأ الواقع على الغير طبقًا للقانون، واللاَّ مسئوليَّة: شعور المرء بأنه غير ملزَم بعواقب أعماله. (معجم اللغة العربية المعاصرة :2/ 1020)

(فالمسؤولية):" (بِوَجْه عَام) حَال أَو صفة من يسْأَل عَن أَمر تقع عَلَيْهِ تَبعته يُقَال أَنا بَرِيء من مسؤولية هَذَا الْعَمَل وَتطلق (أخلاقيا) على الْتِزَام الشَّخْص بِمَا يصدر عَنهُ قولا أَو عملا وَتطلق (قانونا) على الِالْتِزَام بإصلاح الْخَطَأ الْوَاقِع على الْغَيْر طبقًا لقانون" (المعجم الوسيط: 1/ 411).

أو أنها " ميزة من هو مسؤل، أي: من يُسأل عن فعله، أنها تقوم على أن الإنسان هو شخص واعٍ يتمتع بإرادة حرة، وهو سبب أفعاله الوحيد، وبالتالي يستطيع أن يجيب عنها، وعن نتائجها، ويستطيع ان يعد، وأن يلتزم".(المركز التربوي للبحوث والإنماء: 77).

أو"تعبير عن العلاقة الإيجابية بين كلٍ من الفرد والمجتمع، وإشباعها يعزز الوجود الروحي والمادي للفرد، ويتيح له تنمية نفسه ويساعده على القيام بوظيفيتها لاستخلافية تتماشى مع مصلحة المجتمع الذي يعيش فيه ولاتناقض معه" .(فقه المسؤولية: 14).

ان القرآن الكريم اهتم بمبدأ المساءلة في كثيرمن الآيات القرآنية ببيانها وذكر مشتقاتها -حسب الاحصاءات التي بُذلت في هذا البحث، فلقد وردت كلمة (سأل) ومشتقاتها في القرآن الكريم (129) آية، جاءت بمعانٍ عدة منها: طلب المعرفة والبيان، وطلب المال أو شيئ من عرض الدنيا، أو جاءت لغرض التوبيخ والتقريع المتضمن للعقوبة، اما الآيات التي جاءت صريحة لكلمة (المسؤولية) وهي خمس آيات كما يأتي:

أولا: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ} (سورة الصافات/24)، وفيها دلالة واضحة على المكلّف من الإنس والجان في الحياة الدنيا ، فهما مسؤولان عن نياتهما العازمة وأفعاله وأقواله وتصرفاته، إذ لم يخلقا عبثاً دون متابعة ومسائلة بل انهما مكلفان أمام الله تعالى ونفسيهما والناس والوجود ومايتعلق به من الحياة والوقت البيئة والمخلوقات).(ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 48/23 و مفهوم المسؤولية: 15).

ثانيا: { وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً} (سورة الإسراء/34). ففي الآية تأكيد على الوفاء بالعهود، لأنه مسؤولية كبيرة وعلى الإنسان الإيفاء بها. (تنظر:)

ثالثاً: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} (سورة الإسراء/36).وقد ورد في معناها أن هذه الجوارح كلها مسؤولة أمام الله تعالى، لأن جميع الجوارح من نعم الله تعالى لدى الإنسان وهي مسؤولة، إذن فلابد للإنسان أن يحسن استخدامها وتسخيرها لما فيه خيره ،وسعادته في الدنيا والآخرة، وان كل ما يصدر من الإنسان من قول أو فعل أو غير ذلك يكون مسؤولاً عنه فعليه تحمل تبعات ذلك.

رابعاً: { كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْؤُولاً} (سورة الفرقان/16). والآية تعني : ان الله تعالى وعد أهل الجنة بالنعيم الغير المنقطع من المطعم والمشرب والمسكن وغيرذلك وأنه لابد أن يقع هذا الوعد، ويتمتع به المؤمنين على طاعتهم في الدنيا.

خامساً: {وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولًا} (سورة الأحزاب/15).

وفي تفسير هذه الآية قال القرطبي : " إن الله تعالى يسأل ذلك من إعطاه إياه من نفسه، وقيل: هؤلاء الذين عاهدوا الله تعالى قبل غزوة الخندق وبعد غزوة بدر لما اعطاه الله تعالى لهم من الكرامة والنصر".(الجامع لأحكام القرآن: 150/14).

علماً أنه ورد في القرآن الكريم كلمة (سأل) واشتقاقاتها في أماكن متعددة، منها قوله تعالى: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} (سورة الأنبياء/23)، ومعناها: لا سائل يسأل الله تعالى في شؤون خلقه، بل هم يُسألون عن أفعالهم ومحاسبون على اعمالهم وهو الذي يسألهم ويحاسبهم، لأنه تعالى قادر عليهم ومالكهم وسلطانهم. ومنها قوله تعالى: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}. (سورة البقرة،140،134) مرتان

{ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىَ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ} (سورة الأنبياء/13).

{وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} (سورة الزخرف/44).

{وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ} (سورة النحل/56).فالسؤال في هذه المواضع مقرون دائماً بالأعمال لغرض الحكم عليها.

وهناك ألفاظ ذات صلة بكلمة(السؤال) ومبدأ (المساءلة) في القرآن الكريم : منها قوله تعالى (لزاماً) بمعنى الإلتزام ، قال تعالى : {قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا} (سورة الفرقان/77) ، وكذلك معاني (التكليف) في قوله تعالى : {لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} (سورة البقرة/286)، و(العهد) في قوله تعالى :{ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً} (سورة الإسراء/34) ، و(الفرض) في قوله تعالى: {سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا } (سورة النور/1)، و(الحق) في قوله عزوجل: {حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ } (سورة الأعراف/105) ، بينما معاني ومدلولات هذه الكلمات والمصطلحات الأصولية موجودة ومأخوذة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية -النصوص الشرعية-، وذلك مثل : الإيجاب والذمة والوعد و الضمان و التغريم والتقيّد .

فالكلمات القرآنية المذكورة والدلالات المستنطبة من كلماتها معانيها تدور في دائرة معاني (المسؤولية)، لو تمعنا في معنى كل لفظة لوجد أنها تعبر بصيغة أو باخرى عن معنى من معاني (المسؤولية)، وشكل من أشكالها أو نوع من أنواعها، فالمسؤولية ودلالاتها هي الرابط المشترك بين تلكم الالفاظ المذكورة سابقاً.

وأما مبدأ المسؤولية في السنة النبوية فمثل قوله (صلى الله عليه وسلم) :

- ((كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته, فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعيةٌ وهي مسؤلة عن رعيتها، والخادم في مال سيِّده راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، قال: فسمعت هؤلاءِمن رسول الله صلى الله عليه وسلم - واحسب أن النبي- قال: والرجل في مال أبيه راعٍ وهو مسؤول عن رعيته - فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)).(أخرجه البخاري في صحيحه : 848/2، كتاب الاستقراض-باب بَاب الْعَبْدُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ ولا يَعْمَلُ

إلا بِإِذْنِهِ-برقم2278، ومسلم في صحيحه: 1459/3، كتاب الإمارة-باب باب فضيلة الإمام العادل-برقم1829، وكلاهما من حديث عبد الله بن عمر(رضي الله عنهما)، واللفظ للبخاري). ويقول الإمام ابن حجر العسقلاني : " العبارة تعم جميع الناس من ضمنهم الراعي وإن لم يك راعياً فإنه راعٍ بجوارحه وحواسه، لأنه يجب أن يقوم بحق الله تعالى وحق عباده".(ينظر: العسقلاني: فتح الباري: 381/2 برقم: 853).

وكذا جاء عن النبي – صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((إن الله سائلٌ كل راعٍ عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع حتى يسأل الرجل على أهل بيته)).(النسائي: السنن الكبرى: 374/5 برقم:9174).ففيه مسؤلية الإنسان بصورة عامة وما يتعلق به من الوظائف حسب مكانته ووظيفته.

وعنه – صلى الله عليه وسلم - : ((لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه)). (الترمذي: جامع الصحيح-سنن الترمذي- : 4/ 612 برقم 2417).

فالآيات والأحاديث كثيرة حول تأصيل هذا الموضوع :

3-2 المطلب الثاني: الإنسان والمسؤولية عند النورسي :

من المعلوم أن للإيمان الأثر الكبير في سلوك الإنسان المؤمن وأفعاله، وبفقدانه وانعدامه يضطرب فكرالإنسان وسلوكه وتصرفاته علاوة على نياته، ويفقد التوازن الذي فطر الله الإنسان عليه، كما وأنه يُحرم من اللذائذ الإيمانية والدرجات العلى التي يتمتع بها اهل الإيمان خصوصاً.

والنورسي يوضح لنا في رسائل النور مبدأ (المساءلة)، مبيِّناً لنا عدداً من المسائل والمصطلحات المتعلقة بالمسؤولية ومفهومها ومحاورها ومستلزماتها (ينظر: الشعاعات:617/4)، وتناولها من حيث التنظير والتطبيق ومقاصد التكليف فيها (ينظر: الكلمات: 565/1)، و إيجاد المكلّف نفسه تجاهها، المسؤولية العظمى(ينظر: الشعاعات:655/4، والسيرة الذاتية:465/9)، مدارالمسؤولية (الشعاعات:4/ 593)، ومَوضعها (الشعاعات:669/4)، الوعي الكامل لها (ينظر: المثنوي النوري العربي: 6/ 2)، والمسؤولية المعنوية وتبعاتِها (الكلمات:383/1)، والموقف منها (ينظر: الشعاعات:591/4)، تحمل أية مسؤلية ، مستلزماتها، مسؤلية النهوض بالأمة (الملاحق: 7/ 3)، الفرارو - التهرب – منها (ينظر: المثنوي العربي النوري:6/ 258)، والتخلص والتبريء منها (ينظر: الملاحق:46/7،وصيقل الإسلام:189/8)، وعدم المسؤولية (ينظر: الكلمات: 224/1)، ومسؤلية الوظيفة (ينظر: المكتوبات:289/2)، والسلامة من المسؤولية والنجاة منها (اللمعات: 252/3،229)، وموازين المسؤولية والالتزام بها (ينظر: السيرة الذاتية: 9/ 529)، وكل ذلك وفق الدوائرالنورية لمفهوم المسؤولية التي عرضها النورسي في رسائل النور.

كما يقول رحمه الله : " بل قد أصبح الواحد بسبب هذا اليأس يتخذ من فتور الآخرين وعدم مبالاتهم ذريعة للتملص من المسؤولية، ويخلد إلى الكسل قائلاً: "مالي وللناس، فكل الناس خائرون مثلي"، فيتخلى عن الشهامة الإيمانية ويترك العمل الجاد للإسلام، فما دام هذا الداء قد فتك فينا إلى هذا الحد، ويقتلنا على مرآى منا، فنحن عازمون على أن نقتصّ مِنْ قاتلنا، فنضربَ رأس ذلك اليأس بسيف الآية الكريمة: {لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ} (الزمر:53)، ونقصم ظهره بحقيقة الحديث الشريف: "ما لا يدرك كله لا يترك جلّه". إن اليأس داء عضال للأمم والشعوب، أشبه ما يكون بالسرطان ... (صيقل الإسلام :8 / 465).

فالإمام - أيضاً- يسلط الضوء كثيراً في رسائله على الإنسان ويجيب على أسئلة تتوارد على الذهن بشأن هذا المخلوق الذي فضله الله تعالى على سائرمخلوقاته وأمر ملائكته بالسجود له إجلالاً وإكراماً، فمن هو هذا المخلوق المتميز؟ وما هي ميزاته حتى يكون له هذا الشأن العظيم؟

نعم ، إن فقه النورسي لروح القرآن الكريم، واستيعابه العظيم لحقائقه التي ترجمت الكون وما فيها من مخلوقات في سطور مباركة تتلى إلى يوم القيامة، ومشاهدته الموجودات بطريق الحس ومعاينتها مكنته من أن يوضح لنا في رسائله عظمة هذا المخلوق الذي أهدي إليه جوهرة العقل ليكون سيداً وحاكما للمخلوقات على بصيرة من الله تعالى، آمرا بالخير، ناهيا عن الشر، فإيداع الله تعالى هذه الجوهرة في لب الإنسان لكي يسخرها وفق ما يريده رب العزة لتحقيق المصالح كلِها ودرء المفاسد بأسرها، دون أن يجمدها أو ينحرف بها فينزلق بها وبصاحبها نحو الهاوية والطامة الكبرى، وقد قال تعالى:{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ}(المؤمنون/ 115)، فمضمون الآية يفيد أن وجود الإنسان ليس للعبث واللعب، بل أنه موكل بمهام كثيرة وملزم بتحمل مسؤوليات عديدة تفرضه عليه طبيعة خلقه وهي استعمار الأرض في ظل العبودية الحقة كما أخبر الله تعالى على لسان أنبيائه: {وَإِلى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيب}(هود/61)

وإلى ذلك المضمون يشير النورسي بقوله: "فالإنسان بمثل هذه العبادة والتفكر يصبح إنسانا حقا ويُظهر نفسه أنه في (أحسن تقويم) فيصير بيُمن الإيمان وبَركته لائقا للأمانة الكبرى وخليفةً أمينا على الأرض". (الكلمات: 373).

فكلام النورسي يفيد أن رقي الإنسان وبلوغه مرتبة الخليفة في الأرض متوقف على إيمانه بأن الله تعالى هو المعبود الحق الذي هو أهل بالعبادة والخضوع، فيكون الإنسان بهذا الإيمان داعيا إلى تحقيق إرادة الله تعالى على خلقه، وحاملا شعار الربانية في الأرض.

يقول النورسي: " فكما أن الضابط المسؤول عن الجنود يقدّم أعمالَهم وإنجازاتِهم إلى السلطان باسمه، كذلك هذا الإنسان الذي هو ضابط على المخلوقات، وقائد للنباتات والحيوانات، ومؤهل ليكون خليفةً على موجودات الأرض، ويعدّ نفسَه مسؤولا ووكيلا عمّا يحدث في عالمه الخاص.. يقول بلسان الجميع: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فيقدّم إلى المعبود ذي الجلال جميعَ عبادات الخلق واستعاناتهم.. ويجعل الموجودات قاطبة كذلك تتكلم باسمه وذلك عند قوله: سبحانك بجميع تسبيحات جميع مخلوقاتك، وبألسنة جميع مصنوعاتك ". (الكلمات:413).

وخلاصة ما ذكر**:** هو أن استشعار الإنسان عظمة خلقه، ورفعة ذاته، وعلو منزلته عند الله تعالى، وإيمانه التام بهذه الحقيقة من دون ريبة وشك يفضي إلى استعظام دوره في الحياة ليكون سيدا وأمينا وراعيا ناطقا عن الله تعالى وحاكما عنه، والفضل أولاً وأخيراً يعود إلى ذلك الإيمان فهو كالمولد الذي يمد بالكهرباء ويعيد النور بعد العتمة القاتمة، فكما أنه لا يجتمع مع النور ظلمة، فكذا لا يجتمع مع الإيمان باطل، وإلى هذا أشار الله تعالى في قصة الرجل المؤمن من آل فرعون عندما هموا بقتل موسى (عليه السلام)، فإذا بإيمانه يوقظ حس المسؤولية في جسده وبدأ لسانه ينطق: { أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ }(غافر، من الآية 28).

فالمؤمن الحق يأبى أن يكون مهمّشاً في الحياة حاله كحال الأنعام، كما عبر عن ذلك النورسي بقوله في مناجاة لنفسه: ((فيا نفسيَ الأمارة بالسوء! إذا قلت: أنا لا أريد أن أكون أجنبيا بل حيوانا! فلقد كررنا عليك القول يا نفسي: إنك لن تكوني حتى كالحيوان، لأنك تملكين عقلا. فهذا العقل -الجامع لآلام الماضي ومخاوف المستقبل- يُنزل ضرباتٍ موجعة وصفعاتٍ مؤلمة برأسك وعينك، فيذيقك ألوف الآلام في ثنايا لذة واحدة، بينما الحيوان يستمتع بلذة غير مشوبة بالآلام. لذا إن أردت أن تكوني حيوانا فتخلّي عن عقلك أولا وارميه بعيدا، وتعرّضي لصفعة التأديب في الآية الكريمة: {أُوْلَئِكَ كَالأنعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ}(الأعراف/ 179) ". (الكلمات: 415).

ونختم المبحث بما قاله الإمام النورسي: " إنّ المؤمن يُعطي لله كلَّ شيء، ويحيلُ إليه كلَّ أمر، وما يزال هكذا حتى يحيلَ فعلَه ونفسَه إليه. ولكي لا ينجو في النهاية من التكليف والمسؤولية يبرزُ أمامَه الجزءُ الاختياري قائلا له: ((أنت مسؤول، أنت مكلّف))! ثم إنه لكي لا يغترّ بما صدرَ عنه من حسنات وفضائل، يواجهه القدرُ، قائلا له: (اعرف حدّك، فلستَ أنت الفاعل). أجل، إنّ القدرَ والجزءَ الاختياري هما في أعلى مراتب الإيمان والإسلام، قد دخلا ضمن المسائل الإيمانية، لأنهما ينقذان النفسَ الإنسانية.. فالقدرُ يُنقذها من الغرور، والجزءُ الاختياري يُنجيها من الشعور بعدم المسؤولية ". (الكلمات:1/ 533).

1-3 المبحث الثاني : أنواع المسؤوليات:

لقد رسمت لنا الشريعة الإسلامية خريطة عظيمة حول مبدأ المساءلة، وبالتفكر فيها نجد أنها تتسم بالكمال والرفعة من خلال توجيه أهل الإيمان إلى نقطة جوهرية تفيد أن كل ذي روح من الإنسان مسؤول عن نفسه ومايترب عليه من أقوالٍ وأفعالٍ وتصرفات، فالإسلام بيّن لنا معالم ومباديء وقواعد (فقه المسؤولية في القرآن الكريم) في جميع الجوانب المادية والمعنوية, منها:

أولا: المسؤولية العقدية امام أفعال الإنسان وما يتعلق بها وذلك:

العقيدة أساس المسؤولية: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (سورة الحشر/18).

وأن الانسلاخ والإنفلات من تلك العقيدة تؤثر سلبياً على أفعال الإنسان وتترك آثاراً خطيرة على قلبه ،وفي ذلك قال تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (سورة المطففين/14).

ويترتب على أعماله يوم الحساب، مثل قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (سورة النحل/97).

فهذه الآيات وغيرها تستوجب على الإنسان بصورة عامة والمسلم بصورة خاصة الشعور بالمسؤولية أمام الخالق ورب الكون، وتجاه نفسه والناس والوقت والحياة الدنيوية بجميع مجالاتها المتنوعة والأخروية السرمدية.

ثانياً: المسؤولية الدعوية : (العملية التطبيقية والعلمية) أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكرات.

إيجاد النخبة الحقيقية المطلوبة: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (سورة آل عمران/104).

الإئتمار بما أمر الله والانزجارعما نهاه تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} (سورة الصف/2).

الدعوة ألى الله والقيام به والتحدِّي به حملاً للمسؤولية،قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (سورة فصلت/33).

ثالثاً: المسؤولية التربوية : (التعليم وتقديم الأسوة الحسنة واتباع الرسول الأكرم).

التأسي برسول الله : {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ } (سورة الأحزاب/21).

التربي على منهج النبوة وتعليم كتاب الله تعالى:{لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} (سورة آل عمران/164).

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (سورة يوسف/108).

وهذه الأنواع من المسؤوليات نابعة من الإيمان بأن وظيفة الإنسان هي إرادة الخير للجميع وإن كلفه ذلك العيش الرغيد أو أنفاسه في الدنيا، وإلى هذا يشير النورسي في معرض الأسف على حال الأمة المسلمة لما اشتغل أفرادها بحب الذات فقط، وتركوا المسؤولية الملقاة على عاتقهم بينما طبقها الأجانب فيقول ما نصه:"إن السجية الملّية التي أخذوها منا هي قولُ واحدٍ منهم: (إن متّ أنا فلتحيَ أمتي، فإن لي فيها حياة باقية)، هذه السجية أقوى أساسٍ وأمتنُه لرُقيهم وتقدمِّهم، قد سرقوها منا؛ إذ هذه الكلمة إنّما تنبع من الدين الحق ومن حقائق الإيمان، فهي لنا وللمؤمنين جميعاً، بينما دخلت فينا أخلاق رذيلة وسجايا فاسدة، فترى ذلك الأناني الذي فينا يقول: (إذا متّ ظمآناً فلا نزل القطر) و(إن لم أرَ السعادة فعلى الدنيا العفاء!) فهذه الكلمة الحمقاء إنما تنبع من عدم وجود الدين ومن عدم معرفة الآخرة، فهي دخيلة علينا تسمّمنا. ثم إن تلك السجية الغالية عندما سرت إلى الأجانب اكتسبت كلُّ فرد منهم قيمة عظيمة حتى كأنه أمة وحده؛ لأن قيمة الشخص بهمّته، فمن كانت همتُه أمتَه فهو بحد ذاته أمة صغيرة قائمة، وبسبب عدم تيقظ أناس منا، وبحكم أَخْذِنا الأخلاقَ الفاسدة من الأجانب فإن هناك مَن يقول: (نفسي نفسي) مع ما في أمتنا الإسلامية من سموٍّ وقدسيةٍ. فألف رجل مثل هذا الشخص الذي لا يفكر إلاّ بمصلحته الشخصية ولا يبالي بمصلحة الأمة، إنما ينزل بمنزلة شخص واحد". (صيقل الإسلام: 482).

نعم إن رسائل النور تحكي لنا في سطورها المعاناة والآلام التي تعرض لها الإمام النورسي وتلامذته بغية نشر حقائق القرآن الكريم، فالمسؤولية هذه امتزجت بساعات أيامهم وحياتهم مما هان عليهم أن يسيلوها مادام النور يسري في البيوت والأزقة والبلاد بل في أرجاء المعمورة كلها، فحملوا هموم الدين، وهموم الشباب، وهموم الوطن فصالوا بالحق إلى الحق، وجالوا في رحاب المعمورة بالنور إلى النور، فاستطاعوا بهذا الإيمان التحقيقي أن يكونوا أساتيذ للعالم يرشدونهم إلى سرِّ عظمة قوله : (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته) الآنفة الذكر.

ولما كانت رسائل النور جامعة لهموم الأمة رأيت من الضرورة بمكان أن أذكر أنواع المسؤوليات التي ينبغي أن يتحملها المسلمون كي يكونوا أهلا بالخلافة.

2-3 المطلب الأول: المسؤلية أمام الخالق العظيم

وهذا النوع من المسؤولية في المنهج النوري تتجلى في الأمور الآتية:

أولاً: الشعور بالمسؤولية تجاه الخالق جل وعلا:

يرى النورسي أن مسؤولية المسلم تجاه خالقه وموجده من العدم يكون من جوانب عدة:

الجانب الأول: مسؤولية الدعوة إلى الله تعالى وبذل الوسع من أجل إنقاذ الإيمان ومحاربة الإلحاد

يقول النورسي: "مع أنني شخص مقصر، فقد نذرت كل حياتي في سبيل سعادة هذه الأمة وفي سبيل إنقاذ إيمانها، ولقد سعيت بكل جهدي للعمل برسائل النور لكي أضحى بنفسي في سبيل حقيقة افتدتها ألوف الأنفس، وهي الحقيقة القرآنية، واستطعت بتوفيق من الله تعالى وفضل منه أن أتحمل شتى ضروب التعذيب، فلم أتقهقر ولم أنسحب". (الشعاعات:467).

ويقول (رحمه الله): " إنّ الإيمان يجعل الإنسان إنسانا حقا، بل يجعله سلطانا؛ لذا كانت وظيفتُه الأساس الإيمان بالله تعالى والدعاء إليه، بينما الكفرُ يجعل الإنسانَ حيوانا مفترسا في غاية العجز". (الكلمات: 354).

ويقول أيضا: " إن ألزمَ شيء في مثل هذا الوقت وأجدى عمل وأجدر وظيفة هو إنقاذ الإيمان.نعم، إن إيمان شخص واحد إنما هو مفتاح ونور لعالم أبدي خالد أوسع من هذه الدنيا. ولهذا فإن رسائل النور تُكسب المتعرضَ إيمانُه للهلاك ملكا أعظم من هذه الكرة الأرضية، وتورثه سلطنة أجدى منها، وتمنحه فتوحات أعظم منها" .(الملاحق: 108).

الجانب الثاني: مسؤولية التضحية بالنفس في سبيل الدين: يقول رحمه الله: "ونحن بدورنا مستعدون على الدوام للتضحية بدنيانا في سبيل ديننا، وفي سبيل آخرتنا ". (المكتوبات: 548).

الجانب الثالث: مسؤولية التوجه بالشكر إلى الرزاق الكريم وذلك من حيث الحفاظ على النعم التي أغدقها علينا ومحاربة جميع مظاهر الإسراف والتبذير خضوعا لأعظم دستور للكون (اللمعات: 487) :{ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}(الأعراف/ من الآية31) ، فالإمام النورسي يخاطب نفسه قائلا:" فيا أيها السعيد المسكين المغرور! أنت نقطةٌ في وسط سلسلةِ الموجودات، فعليك نِعَمٌ بعددِ ما تحتَك إلى العدم الصرف، وأنت مسؤولٌ عن شُكرها".(المثنوي العربي النوري: 168).

يقول النورسي: " إنَّ الخالق الرحيم سبحانه يطلب من البشرية شكراً وحمداً إزاء ما أغدقَ عليها من النعم والآلاء، إلاّ أنَّ الإسراف منافٍ للشكر وهو استخفاف خاسر ووخيم تجاه النعمة، بينما الاقتصاد توقيرٌ مربح إزاء النعمة. أجل، إنَّ الاقتصاد كما هو شكرٌ معنوي، فهو توقير للرحمة الإلهية الكامنة في النعم والإحسان.. وهو سبب حاسم للبركة والاستكثار.. وهو مدار صحة الجسد كالحِمية.. وهو سبيل إلى العزة بالابتعاد عن ذلّ الاستجداء المعنوي.. وهو وسيلة قوية للإحساس بما في النعم والآلاء من لذة.. وهو سبب متين لتذوق اللذائذ المخبأة في ثنايا نعَمٍ تبدو غير لذيذة.. ولكون الإسراف يخالف الحِكَم المذكورة آنفاً باتت عواقبُه وخيمة" (اللمعات:192).

ويقول أيضا: " أن سعادة حياة البشرية منوطة بالاقتصاد وعدم الإسراف، وعلى إثارة الهمم للسعي والعمل والكدّ.. وأنه بهذين الشرطين يتم التآلف والوئام بين طبقتي البشرية؛ الخواص والعوام". (الملاحق: 358).

الجانب الرابع: مسؤولية محاربة البدع وضرورة التمسك بالسنة النبوية، فيقول (رحمه الله): " إنَّ اتباعَ السنة المطهرة لهو حتماً ذو قيمة عالية، ولاسيما اتباعها عند استيلاء البدع وغلبتها، فإن له قيمةً أعلى وأسمى، وبالأخص عند فساد الأمة، إذ تُشعر مراعاة أبسط الآداب النبوية بتقوى عظيمة وإيمان قوي راسخ؛ ذلك لأن الاتّباعَ المباشر للسنة المطهرة يذكّر بالرسول الأعظم - صلى الله عليه وسلم ". (اللمعات: 73).

الجانب الخامس: مسؤولية الحفاظ على وحدة الصف المسلم من التعصب المذهبي والعرقي استنادا على قول الله تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ} (آل عمران/ من الآية103) ، يقول النورسي: "والذي أراه أن من يخطّئ الآخرين -ويرى نفسه في صواب دائما- مصاب بمرضِ ضِيق الفكر وانحصارِ الذهن الناشئَين من حب النفس. ولاشك أنه مسؤول أمام رب العالمين عن تغافله عن شمولِ خطاب القرآن إلى البشرية كافة.ثم إن فكر التخطئة هذا، منبعٌ ثر لسوء الظن بالآخرين، والانحيازِ، والتحزب في الوقت الذي يطالبنا الإسلام بحسن الظن والمحبة والوحدة! ويكفيه بُعداً عن روح الإسلام ما شَقّ من جروح غائرة في أرواح المسلمين المتساندة، وما بثه من فرقة بين صفوفهم، فأبعدَهم عن أوامر القرآن الكريم". (صيقل الإسلام: 328).

ويقول أيضاً: "إن هذا العصر عصر الجماعة، إذ الشخصية المعنوية -التي هي روح الجماعة- أثبتُ وأمتن من شخصية الفرد، وهي أكثر استطاعة على تنفيذ الأحكام الشرعية؛ فشخصية الخليفة تتمكن من القيام بوظائفها استناداً إلى هذه الروح المعنوية. إن الشخصية المعنوية تعكس روح العامة فإن كانت مستقيمة فإن إشراقها وتألقها يكون أسطع وألمع من شخصية الفرد، أما إن كانت فاسدة فإن فسادها يستشري وفق ذلك. فالشر والخير محددان في الفرد، بينما لا يحدهما حدود في الجماعة. فإياكم أن تمحقوا المحاسن التي نلتموها تجاه الخارج بإبدالها شروراً في الداخل ". (السيرة الذاتية: 219).

3-4 المطلب الثاني: المسؤولية تجاه مخلوقات الله تعالى :

وتظهر ذلك بالتركيز على الأمور الآتية:

أولاً: المسؤولية تجاه الوطن والحفاظ على وحدة كيانه

إن الوطن عند النورسي بمثابة الأم المخلصة التي لا تنفك عن احتضان أولادها بكل شغف ورحمة وعطف، لذا كان الواجب في نظره (رحمه الله) هو السعي الجاد من أجل الحفاظ على أرضه وترابه وأمنه ولكن من غير حمية أو عصبية جاهلية ، فيقول أحد طلابه (وهو زبير كوندوز آلب(1920-1971م): ولد في قضاء "أرمنك" التابع لولاية "قونيا"، ظل عشر سنوات ملازماً للأستاذ وفي خدمته ليل نهار حتى وفاة الأستاذ النورسي.(ينظر: فهارس أعلام السيرة الذاتية : 614). لما وقف أمام هيئة محكمة أفيون للجنايات الكبرى مبينا أهمية رسائل النور في التأكيد على ضرورة حب الوطن: " لذا فهي تنقذ قراءها من كثير من المصائب المادية والمعنوية وتعطي لهم عِلماً يفوق العلم الذي يملكه خريج الجامعة، وتبث فيهم حُبَّ الإسلام وحُبَّ الوطن والأمة وتعلمهم إطاعة الله والعمل الجاد والنشاط والرحمة ". (الشعاعات:561). ، ويقول أيضا: "علينا أن نستشعر بشرف الأمة وعزتها وثواب الآخرة وبشأن المجتمع، وقيمته، والحمية الإسلامية، وحب الوطن وبحب الدين... ففي المضاعفات قوة أية قوة ". (صيقل الإسلام:429)

والقاري لرسائل النور يلتمس أن الإمام بديع الزمان سعى سعيا حثيثا من أجل نشر رسائله التي كانت تحمل أفكارا تؤكد على ضرورة إشاعة روح الألفة والوئام في المجتمع نابذة العنف والإرهاب، ومعززة في الناس روح التسامح والتآزر والتناصر كي لا يتضرر الدين والوطن فيصبحا لقمة سهلة للأعداء ، يقول النورسي: "خدمتنا تسعى لإنقاذ النظام والأمن". (الملاحق:151).

فرسائل النور والقائمين على نشرها تحملوا مسؤولية الحفاظ على أمن الوطن واستقراره كا أشار إلى ذلك المحامي مهري حلاو: "إن مؤلف رسائل النور التي هي مدرسة العرفان وكذلك تلاميذها، حرّاس متطوعون ومعنويون للأمن والنظام والسكون، وساعون لدحر الفوضى والتخريب في الساحة المعنوية في القلوب والعقول. هؤلاء يبذلون الجهد لمنافع الوطن والشعب لنيل رضا الله فقط بكمال الإخلاص، لا يأملون عرضاً ولا غرضاً ولا بدلاً. وهذا ليس جرماً ولا جناية، بل خدمة للوطن والشعب، ويلزم أن يكافَئوا عليه لا أن يؤاخَذوا. ومن حقنا أن نطلب براءته، والقرار للمحكمة السامية". (السيرة الذاتية: 507).

لقد بلغ حب النورسي لوطنه أنه وقف أمام محكمة أوشكت بقطع رأسه فقال وبكل عزة وشهامة : "ألا فلتعلموا جيداً بأنه لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من شعر وفصل كل يوم واحد منها عن جسدي فلن أنحني هذا الرأس الذي نذرته للحقائق القرآنية أمام الزندقة والكفر المطلق، فلن أخون الوطن والأمة والإسلام " (الشعاعات: 480).

ومن جانب آخر يرى النورسي أن الحكومة بما فيها لابد أن تتحمل مسؤولية نشر رسائل النور والحفاظ على حياة ناشريه وإلا فإن ذلك يعد خيانة للوطن، فيقول: " في زمن عجيب كزماننا هذا، لا بد من تطبيق خمسة أسس ثابتة، حتى يمكن إنقاذ البلاد وإنقاذ الحياة الاجتماعية بأبنائها من الفوضى والانقسام. وهذه المبادئ هي:

1- الاحترام المتبادل
2- الشفقة والرحمة
3- الابتعاد عن الحرام
4- الحفاظ على الأمن
5- نبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة.

والدليل على أن رسائل النور في نظرتها إلى الحياة الاجتماعية قد ظلت تثبت وتحكم هذه الأسس الخمسة وتحترمها احتراماً جاداً محافظة بذلك على الحجر الأساس لأمن البلاد، هو أن رسائل النور قد استطاعت في مدى عشرين عاماً أن تجعل أكثر من مائة ألف رجل أعضاء نافعين للبلاد والعباد دون أن يتأذى أو يتضرر بهم أحد من الناس. ولعل محافظتي إسبارطة وقسطموني خير شاهد وأبرز دليل على صدق ما نقول. فإذا كانت هذه هي الحقيقة، فلا شك أن أكثر أولئك الذين يتعرضون لأجزاء رسائل النور إنما يخونون الوطن والأمة والسيادة الإسلامية. ويعملون -سواءً بعلم أو بدون علم- لحساب الفوضوية والتطرف". (الشعاعات:385).

ثانيا: الشعور بالمسؤولية تجاه الشباب

يرى النورسي أن مسؤولية الحفاظ على إيمان الشباب ضرورة لابد من الأخذ بها في نظر الاعتبار لأنهم يمثلون قوة عظيمة إذا ما صرفت جهودهم إلى مرضاة الله تعالى، فيقول: "والحال أن فتوة الشباب ونضارته إذا ما حلّت في المؤمن المطمئن الحصيف ذي القلب الساكن الوقور، وإذا ما صُرِفَت طاقةُ الشباب وقوتُه إلى العبادة والأعمال الصالحة والتجارة الأُخروية، فإنها تصبح أعظمَ قوة للخير، وتغدو أفضل وسيلة للتجارة، وأجمل وساطة للحسنات بل ألذّها. نعم، إنَّ عهد الشباب نفيس حقاً وثمين جداً، وهو نعمة إلهية عظمى، ونشوةٌ لذيذة لمن عرف واجبه الإسلامي ولمن لم يسئ استعماله. ولكن الشباب إن لم تصحبه الاستقامةُ، ولم ترافقه العفةُ والتقوى، فدونَه المهالكُ الوبيلة، إذ يصدّع طيشُه ونزواته سعادةَ صاحبه الأبدية، وحياتَه

الأُخروية، وربما يحطم حياته الدنيا أيضاً. فيجرّعه الآلام غصصاً طوال فترة الهرم والشيخوخة لما أخذه في بضع سنين من أذواق ولذائذ." (اللمعات/ 327).

فالشباب في نظر النورسي هم ثروة نفيسة تعود بالنفع إلى البلاد والدين في حال استغلالهم وحمايتهم من الانجراف مع تيار الإباحية والفسق، فيقول: "إنَّ الشاب إذا دفع ساعة واحدة من أربع وعشرين ساعة من يومه في السجن إلى إقامة الفرائض، وتاب عن سيئاته ومعاصيه التي دفَعَتْه إلى السجن، وتجنّب الخطايا والذنوب مثلما يجنّبه السجنُ إياها.. فإنه سيعود بفوائدَ جمّة إلى حياته وإلى مستقبله وإلى بلاده وإلى أمته وإلى أحبّائه وأقاربه، فضلاً عن أنه يكسب شباباً خالداً في النعيم المقيم بدلاً من هذا الذي لا يدوم خمسَ عشرة سنة". ((الشعاعات495).، ويقول زبير كونوزآلب- أحد طلبة الرسائل من الأوئل-:" إنَّ الذين يقرأون رسائل النور، ولاسيما من الشباب الواعي يكتسبون إيماناً قوياً فيصبح متديناً لا يهتز ولا يتوانى عن أية تضحية، ويكون مُحبَّاً لوطنه". (الشعاعات559).

لقد حمل النورسي هموم الأمة عامة وهموم الشباب خاصة وكانت مسؤوليته الإيمانية تفرض عليه أن يهتم بهذه الشريحة مما استدعى أن يؤلف رسالة- رسالة الشباب - تنبض بالحياة ينادي فيها الشباب ويوعّيهم، ويأسف على حال أولئك الذين يصرفونها إلى الباطل، فيقول (رحمه الله): "كنت في أحد أيام عيد الجمهورية جالسا أمام شباك سجن (أسكي شهر) الذي يطل على مدرسة إعدادية للبنات.. وكانت طالباتها اليافعات يلعبن ويرقصن في ساحة المدرسة وفنائها ببهجة وسرور، فتراءت لي فجأةً على شاشة معنوية ما يؤول إليه حالهن بعد خمسين سنة. فرأيت: أن نحواً من خمسين من مجموع ما يقارب الستين طالبة يتحولن إلى تراب ويعذَّبن في القبر، وأن عشرة منهن قد تحولن إلى عجائز دميمات بلغن السبعين والثمانين من العمر، شاهت وجوههن وتشوه حسنهن، يقاسين الآلام من نظرات التقزز والاستهجان من الذين كنّ يتوقعن منهم الإعجاب والحب، حيث لم يصنّ عفتهن أيام شبابهن!.. نعم، رأيت هذا بيقين قاطع، فبكيت على حالهن المؤلمة بكاء ساخناً أثار انتباه البعض من زملاء السجن، فأسرعوا إليّ مستفسرين.فقلت لهم: (دعوني الآن وحالي... انصرفوا عني..) أجل، إنَّ ما رأيتُه حقيقة وليس بخيال، إذ كما سيؤول هذا الصيف والخريف إلى الشتاء، فإن ما خلف صيف الشباب ووراء خريف الشيب، شتاءَ القبر والبرزخ ". (الشعاعات: 233، والسيرة الذاتية : 347).

ثالثاً: الشعور بالمسؤولية تجاه الحياة الزوجية:

مما يلفت النظر ويجلب الاهتمام أن النورسي مع كونه عاش حياته عزبا من غير زوجة تؤنسه وتهوِّن عليه وحشته وغربته وآلامه، إلا أنه قد بيَّن في رسائله ضرورة ترسيخ دعائم المودة والرحمة بين الزوجين، لأن الرابط بين الذكر والأنثى في هذه الحياة هو هذا الميثاق الغليظ الذي توثق بكلمة الله تعالى، فالزوج والزوجة كلاهما مسؤولان على الحفاظ على هذه الرابطة الربانية التي تنبثق منها الشعوب والقبائل، فيقول: "إن الحياة العائلية هي مركزُ تجمّع الحياة الدنيوية ولولبها وهي جنةُ سعادتها وقلعتُها الحصينة وملجأها الأمين. وأن بيت كل فرد هو عالَمه ودنياه الخاصة. فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلاّ بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل إلى حد التضحية والإيثار، ولا يحصل هذا الاحترام الخالص والرحمة المتبادلة الوفيّة إلاّ بالإيمان بوجود علاقات صداقة أبدية، ورفقة دائمة، ومعيّة سرمدية، في زمن لا نهاية له، وتحت ظل حياة لا حدود لها، تربطها علاقات أبوّةٍ محترمة مرموقة، وأخوةٍ خالصة نقية، وصداقةٍ وفيّة نزيهة، حيث يحدّث الزوجُ نفسَه: إن زوجتي هذه رفيقة حياتي وصاحبتي في عالم الأبد والحياة الخالدة، فلا ضير إن أصبحت الآن دميمة أو عجوزا، إذ إن لها جمالا أبديا سيأتي، لذا فأنا مستعد لتقديم أقصى ما يستوجبه الوفاء والرأفة، وأضحي بكل ما تتطلبه تلك الصداقة الدائمة". (الكلمات: 104).

ويقول في موضع آخر: "إنَّ السعيد هو ذلك الزوج الذي يُقَلِّدُ زوجته الصالحة، فيكون صالحاً مثلها، لئلا يفقد رفيقته في حياة أبدية خالدة. وكم هي سعيدة تلك الزوجة التي ترى زوجها متديناً فتتمسك بأهداب الدين لئلا تفقد رفيقها الأبدي، فتفوز بسعادة آخرتها ضمن سعادة دنياها! وكم هو شقيٌّ ذلك الزوج الذي يتبع زوجته التي ارتمت في أحضان السفاهة فيشاركها ولا يسعى لإنقاذها! وما أشقاها تلك الزوجة التي تنظر إلى فجور زوجها وفسقه وتقلده بصورة أخرى! والويل ثم الويل لذينك الزوجين اللذين يُعين كلٌّ منهما الآخر في دفعه إلى النار، أي يغري كل منهما الآخر للانغماس في زخارف المدنية....، إنَّ أهم نقطة وجانب في حياة الأسر في الوقت الحاضر هي أنه إذا ما شاهدت الزوجةُ فساداً في زوجها وخيانةً منه وعدم وفاء، فقامت هي كذلك -عناداً له- بترك وظيفتها الأسرية وهي الوفاء والثقة فتفسدهما، يختل عندئذٍ نظام تلك الأسرة كلياً ويذهب هباءً منثوراً، كالإخلال بالنظام في الجيش. فلابد للزوجة أن تسعى جادة لإكمال نقص زوجها وإصلاح تقصيره كي تنقذ صاحبَها الأبدي، وإلاّ فهي تخسر وتتضرر في كل جانب إذا ما حاولت إظهار نفسها وتحبيبَها للآخرين بالتكشف والتبرج، لأنَّ الذي يتخلى عن الوفاء يجد جزاءه في الدنيا أيضاً. لأن فطرتها تتجنب غير المحارم وتشمئز منهم. فهي تحترز من ثمانية عشرة شخصاً من كل

عشرين شخصاً أجنبياً، بينما الرجل قد لا يشمئز من النظر إلى امرأة واحدة من كل مائة أجنبية. فكما أن الزوجة تعاني من العذاب من هذه الجهة فهي تضع نفسها موضع اتهام أيضاً بعدم الوفاء وفقدان الثقة والوفاء فلا تستطيع الحفاظ على حقوقها فضلاً عن ضعفها". (اللمعات: 283).

1-4 المبحث الثالث : الشعور بالمسؤولية (مقوماته ومعوقاته):

2-4 المطلب الثاني : العوامل المقوية للشعور بالمسؤولية:

إن القاريء لرسائل النور يلتمس أن مؤلفها قد ألقى على كتفه وكاهله مسؤولية تبليغ حقائق القرآن الكريم للناس عامة، ففهم أن وظيفته تحتم عليه أن يعكس نور هذه الشمس المعنوية على أرجاء المعمورة كلها، لتكون أرواح ساكنيها مرايا تتبادل فيما بينها ذلك النور الذي غيَّر معالم الكون بهجة وسرورا بعدما كان عبوسا قمطريرا، وألبسها إزار التقوى، ورصعها بجواهر النجابة، وحلل العفة والطهارة، كما قال تعالى: {الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إلى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيد}(إبراهيم/ من الآية 1) .

يقول النورسي:" كما أن الإيمان نور وهو قوة أيضا. فالإنسانُ الذي يظفر بالإيمان الحقيقي يستطيع أن يتحدى الكائناتِ ويتخلصَ من ضيق الحوادثِ، مستندا إلى قوةِ إيمانه فيبحرُ متفرجا على سفينة الحياة في خضمّ أمواج الأحداث العاتية بكمال الأمان والسلام قائلا: تَوكَّلتُ على الله، ويسلّم أعباءه الثقيلةَ أمانةً إلى يدِ القُدرةِ للقدير المطلق، ويقطعُ بذلك سبيلَ الدنيا مطمئنّ البال في سهولةٍ وراحةٍ حتى يصل إلى البرزخ ويستريح، ومن ثم يستطيع أن يرتفعَ طائرا إلى الجنة للدخول إلى السعادة الأبدية. أمَّا إذا ترك الإنسانُ التوكلَ فلا يستطيع التحليقَ والطيرانَ إلى الجنة فحسب بل ستجذبه تلك الأثقالُ إلى أسفلَ سافلين". (الكلمات: 352).

نعم، إن القلب المتنور بذلك النور يصير مسؤولاً لعكس ذلك النور إلى الأرواح كلها، ولكن قد تنابه فترات من الغفلة والوهن تعرقل مسيرته للنهوض بهذه المسؤولية، لذا فهو بحاجة ماسة لمنشطات وجرعات تنمي فيه الشعور بأنه مسؤول ومكلف، ولقد أرشدنا إليها النورسي في رسائله ويمكن حصرها فيما يأتي:

أولاً: الإيمان بمبدأ المسائلة يوم القيامة، وإيمان الإنسان بهذه المسألة تحرك فيه الشعور بالمسؤولية ليحافظ على جميع ما وكل إليه من مهام، فأي تقصير او إخلال تكون نتائجه غير مرضية، وعواقبه غير سليمة، كما أخبر الله تعالى في محكم كتابه: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَاد}(آل عمران/الآية30).

يقول النورسي:" إن الإنسان لم يُترك حبلُه على غاربه، ولم يُترك طليقا ليرتع أينما يريد، بل تُسجّل جميعُ أعماله وتُلتقط صورُها، وتدوّن جميع أفعاله ليحاسب عليه ". (الكلمات: 80). ، ويقول في موضع آخر:" فيا ترى هل يقبل عقل بأن يُترك هذا الإنسان الذي أصبح مكرّما بالخلافة والأمانة، والذي ارتقى إلى مرتبة القائد والشاهد على المخلوقات، بتدخله في شؤون عبادة أغلب المخلوقات وتسبيحاته بإعلانه الوحدانية في ميادين المخلوقات الكثيرة وشهوده شؤون الربوبية الكلية.. فهل يمكن أن يُترك هذا الإنسان، يذهب إلى القبر لينام هادئا دون أن ينبّه ليُسأل عن كل صغيرة وكبيرة من أعماله، ودون أن يُساق إلى المحشر ليحاكم في المحكمة الكبرى؟ كلاّ ثم كلاّ! ". (المصدر السابق: 83).

وكذلك يقول أيضا: "وهكذا فإن كل مدينة هي بحد ذاتها بيت واسع لسكنتها. فإن لم يكن الإيمان بالآخرة مسيطراً على أفراد هذه العائلة الكبيرة فسيستولى عليهم الحقد والمنافع الشخصية والاحتيال والأنانية والتكلف والرياء والرشوة والخداع، بدلاً من أسس الأخلاق الحميدة التي هي الإخلاص والمروءة والفضيلة والمحبة والتضحية ورضى الله والثواب الأخروي. وكانت معاني الإرهاب والفوضى والوحشية حاكمة ومسيطرة تحت اسم النظام والأمن والإنسانية التي يظهرونها، وحينئذٍ تتسمم حياة تلك المدينة، فيتصف الأطفال بالوقاحة والإهمال، والشباب بالسُكر والعربدة، والأقوياء بالظلم والتجاوز، والشيوخ بالبكاء والأنين". (الشعاعات: 269).

فالإيمان بالآخرة ينمي في الإنسان حس المراقبة والشعور بأن الله تعالى عليم بباطنه وظاهره وهذا يكون وازعاً مهما للقيام بالمهام والمسؤوليات الملقاة على عاتقه.

ثانيا: العمل ضمن إطار الجماعة لأن ذلك يوفر العون والمساعدة على تحمل المسؤوليات، وفق قاعدة:(توحيد المساعي وتوزيع الأعمال) (اللمعات: 229)، وعملا بالمثل السائر:(اليد الواحدة لا تصفق)، فيقول النورسي: "إنَّ موجودات الكون، بأنواعها المختلفة، تتعاون فيما بينها تعاوناً وثيقاً، ويسعى كلٌّ جزء منها لتكملة مهمةِ الآخر وكأنها تمثل بمجموعها وأجزائها تروسَ معمل

بديع ودواليبَه -الذي يشاهد فيه هذا التعاون بوضوح- فهذا التساند، وهذا التعاون بين الأجزاء، وهذه الاستجابة في إسعاف كلٍّ منها لطلب الآخر، وإمداد كلِّ جزء للجزء الآخر، بل هذا التعانق والاندماج بين الأجزاء، يجعل من أجزاء الكون كله وحدةً متحدة تستعصي على الانقسام والانفكاك. يشبه في هذا وحدةَ أجزاء جسم الإنسان الذي لا يمكن فكّ بعضها عن البعض الآخر.نفهم من هذا أن الذي يمسك زمام عنصر واحد في الوجود، إنْ لم يكن زمام جميع العناصر بيده لا يستطيع أن يسيطر على ذلك العنصر الواحد أيضاً. إذن فـ(التعاون) و(التساند) و(التجاوب) و(التعانق) الواضحة على وجه الكون، إنما هي أختامٌ كبرى وبصمات ساطعة للتوحيد". (اللمعات:491).

ثالثاً: كثرة الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى وهذا عامل لابد للإنسان المؤمن أن يشد به إزره، فالتوفيق على تحمل المسؤوليات يكون من الله تعالى، لذا فإن التضرع إليه جل في علاه هو من شأن الأنبياء والصديقين والأولياء فإن مهمتهم ومسؤوليتهم تحتم عليهم أن يطلبوا العون والمدد من خالق بيده مقاليد الأمور يقلبها كيف يشاء ، قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}(البقرة/ الآية186) ، وكذا {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}. (غافر/ الآية60).

يقول النورسي:" وبهذا فالدعاء سرّ من أسرار العبودية. والعبودية لابد أن تكون خالصةً لوجه الله، بأن يأوي الإنسانُ إلى ربِّه بالدعاء مُظهرا عجزَه، مع عدم التدخل في إجراءات ربوبيته، أو الاعتراض عليها، وتسليمُ الأمر والتدبير كلّه إليه وحدَه، مع الاعتماد على حكمته من دون اتهامٍ لرحمته ولا القنوط منها". (الكلمات: 357).

ويقص لنا النورسي موقفا حصل له في المنفى لما كان وحيدا ومنعزلاً عن الناس على قمة جبل(جام) المطلة على مراعي (بارلا) وقد ضاقت به الأرض حزينا غريبا، فإذا به مستغيثا بالله مستنصرا يلجأ إلى الحي الذي لا يموت، فيقول:"ومن خلال هذه الغربة ألقت عليّ أوضاع الليل البهيم والجبال الشاخصة أمامي غربة فيها من الحزن المشوب بالعطف ما أشعرني أن ميدان غربة أخرى انفتحت أمام روحي المشرفة على الرحيل عن هذا المضيف الفاني متوجهة نحو أبد الآباد، فضمتني غربة غير معتادة، وأخذني التفكير، فقلت فجأة: سبحان الله! وفكرت كيف يمكن أن تقاوم كل هذه الظلمات المتراكبة وأنواع الغربة المتداخلة!. فاستغاث قلبي قائلاً: يا رب! أنا غريب وحيد، ضعيف غير قادر، عليل عاجز، شيخ لا خيار لي، فأقول: الغوث الغوث. أرجو العفو، وأستمد القوة من بابك يا إلهي!.وإذا بنور الإيمان وفيض القرآن ولطف الرحمن يمدّني من القوة ما يحول تلك الأنواع الخمسة من الغربة المظلمة، إلى خمس دوائر نورانية من دوائر الأُنس والسرور. فبدأ لساني يردد: {حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}(آل عمران/ الآية173). وتلا قلبي الآية الكريمة: {فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}(التوبة/ الآية 129).". (السيرة الذاتية: 264).

3-4 المطلب الثاني: معوقات الشعور بالمسؤولية

لقد استلهم النورسي من القرآن الكريم والسنة النبوية الأمراض والعلل التي تعوق الإنسان المسلم وتمنعه من الشعور بالمسؤولية، فاستطاع أن يحصرها في الأمور الآتية:

الأول: حب الدنيا وكراهية الموت * [1]، وهذا مرض الأمة العضال، ومن ابتلي به أصبح إنسانا بلا شعور، فيقول النورسي: " إن تفضيلَ المؤمنين الحياة الدنيا على الآخرة مع إيمانهم بالآخرة ومعرفتها حق المعرفة، وترجيحَ قطع زجاجية تافهة على الألماس الثمين مع معرفة وعلم بها ورغبة فيها، وذلك بسيطرة دوافع الحس العمياء التي لا تبصر العقبى، وترجيح لذة آنية حاضرة على رطل من لذات صافية آجلة.. إن هذا مرض مخيف أصاب هذا العصر بل هو مصيبة من مصائبه، وبلية من بلاياه، وهو مضمون إشارة الآية الكريمة: {يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ} " . (إبراهيم/ من الآية3)،. (الملاحق: 190)

ويقول- أيضاً-: " يا نفسي ! لا تقولي أبدا بأن الزمان قد تغيّر، وأنّ العصر قد تبدّل، وأنّ الناس قد انغمسوا في الدنيا وافتتنوا بحياتها، فهم سُكارى بهموم العيش.. ذلك لأنّ الموت لا يتغير، وأنّ الفراق لا ينقلب إلى بقاء فلا يتغير أيضا)) (الكلمات: 202).

العائق الثاني: مرض الأنانية والغرور وحب الذات: وتعد من أبرز معوقات الشعور بالمسؤولية لأن هذا النوع من المرض يجعل كيان الإنسان وروحه حصرا لنفسه فتراه لا يبالي إلاّ بما يؤل إلى تلك النفس المريضة بالنفع فقط، فمسالك القلب مؤصدة، ومنافذها مغلقة لا ترى إلاّ سراباً كاذبا فتظن أن آفاق العيش الرغيد باسطة ذراعها وأحضانها تناديها فحسب، فيقول

* 1 عن ثَوْبَانَ(رضي الله عنه) قال: قال رسول اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):{ يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كما تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِهَا فقال قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قال: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ من صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ في قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ، فقال قَائِلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ وما الْوَهْنُ؟ قال: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ}. أخرجه أبو داود في سننه111/4، كتاب الملاحم-باب في تداعي الأمم على الإسلام-برقم4297، ورواه أحمد في مسنده 278/5-برقم22450، وذكر الهيثمي أن إسناده جيد. ينظر: مجمع الزوائد287/7، كتاب الفتن-باب تداعي الأمم.

النورسي: "إنّ أسّ أساس جميع الاضطرابات والثورات في المجتمع الإنساني إنما هو كلمة واحدة، كما أن منبع جميع الأخلاق الرذيلة كلمة واحدة أيضا. كما أثبت ذلك في إشارات الإعجاز.

الكلمة الأولى: (إن شبعتُ، فلا عليّ أن يموتَ غيري من الجوع).

الكلمة الثانية: (اكتسبْ أنتَ، لآكل أنا، واتعبْ أنت لأستريح أنا).

نعم، إنه لا يمكن العيشُ بسلام ووئام في مجتمع إلاّ بالمحافظة على التوازن القائم بين الخواص والعوام، أي بين الأغنياء والفقراء. وأساس هذا التوازن هو رحمةُ الخواص وشفقتُهم على العوام، وإطاعةُ العوام واحترامُهم للخواص. فالآن، إن الكلمة الأولى قد ساقت الخواصَّ إلى الظلم والفساد، ودفعت الكلمةُ الثانية العوامَ إلى الحقد والحسد والصراع. فسُلبت البشرية الراحةَ والأمان لعصور خلت، كما هو في هذا العصر، حيث ظهرت حوادث أوربا الجسام بالصراع القائم بين العاملين وأصحاب رأس المال كما لا يخفى على أحد". (الكلمات: 469، وإشارات الإعجاز: 51).

ومن جانب آخر يشبه لنا النورسي استعدادات الإنسان بالبذرة، فمتى تغذت هذه البذرة وجلبت لنفسها المواد الضارة فعاقبتها تكون وخيمة فسرعان ما تتعفن وهي في باطن الأرض تحت التراب، فجهة الأنانية في الإنسان تكون دائما مقصورة على الحياة الدنيا، أما إذا ربّى الإنسانُ بذرةَ استعداده وسقاها بماءِ الإسلام، وغذّاها بضياءِ الإيمان تحت تراب العبودية موجها أجهزتَها المعنوية نحو غاياتها الحقيقية بامتثال الأوامر القرآنية. فلابد أنها ستنشقّ عن أوراقٍ وبراعم وأغصانٍ تمتدّ فروعُها وتتفتّح أزاهيرُها في عالم البرزخ وتولّد في عالم الآخرة وفي الجنة نِعَما وكمالاتٍ لا حد لها. فيصبح الإنسانُ بذرةً قيّمةً حاوية على أجهزةٍ جامعةٍ لحقيقة دائمة ولشجرة باقية، ويغدو آلةً نفيسة ذات رونق وجمال، وثمرةً مباركة منورة لشجرة الكون". (الكلمات: 362).

العائق الثالث: الفتور والكسل: وقد عدهما الإمام النورسي من المعوقات المهمة التي تعيق الهمم، ويرى أنهما مصدر للفشل، فيقول ما نصه: "كان المسلمون هم الأغنياء وكان أولئك هم الفقراء، إلاّ أن الآية انعكست الآن، فما الحكمة؟ الجواب: هناك سببان لهذا حسب علمي:

الأول: الفتور في السعي وعدم الرغبة خلافاً لما هو مستفاد من الأمر الربّاني: {وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى}(النجم/ الآية 39). وانطفاء جذوةِ شوقِ الكسب المستفاد من الأمر النبوي بأن {الكاسب حبيب الله}،* [2] وذلك نتيجة إيحاءات بعض الرجال وتلقيناتِ قسم من الوعاظ الجاهلين، أولئك الذين لم يدركوا إن إعلاء كلمة الله في الوقت الحاضر يتوقف على الرقي المادي، ولم يتفهموا قيمة الدنيا من حيث هي مزرعة الآخرة، ولم يميّزوا بين متطلبات القرون الوسطى والقرون الأخرى، ولم يفرقوا بين قناعتين بعيدتين عن بعضهما ، القناعة في التحصيل والكسب وهي المذمومة، والقناعة في المحصول والأجرة، وهي الممدوحة، ولم يتبينوا البون الشاسع بين التواكل الذي هو عنوان الكسل والتوكل الذي هو صَدَفَة الإخلاص الحقيقي....، والسبب الثاني: هو سلوكنا في المعيشة مسلكاً غير طبيعي، مسلكاً يوافق الكسل ويلائمه، ويداعب الغرور ويربى عليه، وهو المعيشة على الوظيفة الحكومية، لذا لقينا جزاء ما كسبت أيدينا". (صيقل الإسلام: 378).

العائق الرابع: اليأس : يقول النورسي: " إن مما أملت عليّ تجاربي في الحياة وتمخض فكري عنه هو: أن اليأس داء قاتل، وقد دبّ في صميم قلب العالم الإسلامي. فهذا اليأس هو الذي أوقعنا صرعى -كالأموات- حتى تمكنتْ دولة غربية لا يبلغ تعدادها مليوني نسمة من التحكم في دولة شرقية مسلمة ذات العشرين مليون نسمة فتستعمرها وتسخرها في خدمتها.. وهذا اليأس هو الذي قتل فينا الخصال الحميدة وصَرَفَ أنظارَنا عن النفع العام وحَصَرَها في المنافع الشخصية.. وهذا اليأس هو الذي أمات فينا الروح المعنوية التي بها استطاع المسلمون أن يَبْسطوا سلطانهم على مشارق الأرض ومغاربها بقوة ضئيلة، ولكن ما إن ماتت تلك القوة المعنوية الخارقة باليأس حتى تمكّن الأجانب الظَلَمة -منذ أربعة قرون- أن يتحكموا في ثلاثمائة مليون مسلم ويكبّلوهم بالأغلال.بل قد أصبح الواحد بسبب هذا اليأس يتخذ من فتور الآخرين وعدم مبالاتهم ذريعة للتملص من المسؤولية، ويخلد إلى الكسل قائلاً: (مالي وللناس، فكل الناس خائرون مثلي)، فيتخلى عن الشهامة الإيمانية ويترك العمل الجاد للإسلام.فما دام هذا الداء قد فتك فينا إلى هذا الحد، ويقتلنا على مرأى منا، فنحن عازمون على أن نقتصّ مِنْ قاتلنا، فنضربَ رأس ذلك اليأس بسيف الآية الكريمة: {لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ} (الزمر:53). ونقصم ظهره بحقيقة الحديث الشريف:{ ما لا

[2] * لم نعثر على هذا الحديث في كتب متون الحديث ولكن هنالك أحاديث تؤيد معناه كما أخرج البخاري في صحيحه عن المقدام (رضي الله عنه) عن رسول اللهِ (صلى الله عليه وسلم) **قال:{ ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا من أَنْ يَأْكُلَ من عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السَّلَام كان يَأْكُلُ من عَمَلِ يَدِهِ}**. كتاب البيوع-باب كسب الرجل وعمله بيده-برقم1966).

يدرك كله لا يترك جلّه}،(ما لا يدرك كله لا يترك جلّه)، هو معنى الآية {فاتقوا الله ما استطعتم}". (سورة التغابن/ 16) والحديث (اتق الله ما استطعت)، ولفظ الترجمة قاعدة وليس بحديث. ينظر:كشف الخفاء للعجلوني: 256/2). (صيقل الإسلام: 474).

ويقول في موضع آخر: " لا تيأس أيها المسلم! فإن لك نقطةَ استنادٍ عظيمة وركيزة لا تتزعزع قط، وجيوشا جرّارة لا تُغلَب، وقوى احتياطية لا تنفد، فلو اجتمعت عليك الدنيا بأسرها لا يمكنها أن تبارِز تلك القوى وتتحداها، بل لا يقدر على تدميرها إلاّ مَن يملك قدرة على تدمير الكون بأسره. أما سبب انهزامك في الوقت الحاضر فهو إرسالك جنديا واحدا ليقابل جماعة منظمة وشخصا معنويا. فاسعَ أيها المسلم، ليكون كل جندي من جنودك في حكم جماعة وبمثابة شخص معنوي يستمد معنوياته من الدوائر المحيطة به ".(الملاحق:209).

5-1 المبحث الرابع: قواعدٌ نوريةٌ في فقه المسؤولية ونماذج فيها :

5- 2 المطلب الأول: قواعدٌ نورية في الوصول للشعور بالمسؤولية.

أولا: الإنسان مسؤول عن سيئاته :

فالنورسي يؤكد على أن الإنسان هو بنفسه مسؤول عن سيئاته، حيث يقول : "إنّ القرآن الكريم يبين أنّ الإنسان مسؤول عن سيئاته مسؤولية كاملة، ليست للفرار من التكليف والمسؤولية، بل هو لإنقاذ الإنسان من الفخر والغرور، ولهذا دخلتْ ضمن مسائل الإيمان. أمَّا الجزء الاختياري، فقد دخل ضمن مباحث العقيدة ليكون مرجِعا للسيئات، لا ليكون مصدرا للمحاسن والفضائل التي تسوق إلى الطغيان والتفرعن، نعم، إنّ القرآن الكريم يبين أنّ الإنسان مسؤول عن سيئاته مسؤولية كاملة. لأن الإنسان هو الذي أراد السيئات. ولمّا كانت السيئاتُ من قبيل التخريبات، لذا يستطيع الإنسان أن يوقِع دمارا هائلا بسيئة واحدة، كإحراق بيت كامل بعود ثقاب، وبذلك يستحق إنزال عقاب عظيم به، أمَّا في الحسنات، فليس له الحق في الفخر والمباهاة، لأن حصتَه فيها ضئيلة جدا، لأن الرحمة الإلهية هي التي أرادت الحسنات، واقتضتها. والقدرةُ الربانية هي التي أوجدَتْها، فالسؤال والجواب والسبب والداعي كلاهما من الحق سبحانه وتعالى، ولا يكون الإنسانُ مالكا لهذه الحسنات وصاحبا لها إلاّ بالدعاء والتضرع، وبالإيمان، وبالشعور بالرضى عنها. بينما الذي أراد السيئات هو النفسُ الإنسانية، إمَّا بالاستعداد أو بالاختيار. مثلما تكتسب بعضُ الموادِ التعفنَ والاسوداد من ضياء الشمس الجميل اللامع، فذلك الاسوداد إنما يعود إلى استعداد تلك المادة، ولكن الذي يوجِد تلك السيئات بقانون إلهي متضمن لمصالح كثيرة إنما هو الله سبحانه أيضا. أي إن التسبب والسؤال هما من النفس الإنسانية بحيث تتحمل المسؤولية عنها. أما الخلق والإيجاد الخاص به سبحانه وتعالى فهو جميل، لأن له ثمرات أخرى جميلة، ونتائج شتى جميلة، فهو خير، ومن هذا السر يكون خلقُ الشرِّ ليس شرا، وإنما كسبُ الشر شر، إذ لا يحق لكسلانَ قد تأذّى من المطر -المتضمن لمصالحَ غزيرة- أن يقول: المطرُ ليس رحمة".

وفي موطن آخرحول التكليف والمسئولية يقول العلامة النورسي: "المبحث الأول: إنّ القدر والجزء الاختياري جزءان من إيمانٍ حاليّ ووجداني، يبيّن نهايةَ حدود الإيمان والإسلام، وليسا مباحثَ علميةً ونظريةً. أي إنّ المؤمن يُعطي لله كلَّ شيء، ويحيلُ إليه كلَّ أمر، وما يزال هكذا حتى يحيلَ فعلَه ونفسَه إليه. ولكي لا ينجو في النهاية من التكليف والمسؤولية يبرزُ أمامَه الجزءُ الاختياري قائلا له: "أنت مسؤول، أنت مكلّف"! ثم إنه لكي لا يغترّ بما صدرَ عنه من حسنات وفضائل، يواجهه القدرُ، قائلا له: "اعرف حدّك، فلستَ أنت الفاعل"، ثم يقول :" أجل، إنّ القدرَ والجزءَ الاختياري هما في أعلى مراتب الإيمان والإسلام، قد دخلا ضمن المسائل الإيمانية، لأنهما ينقذان النفسَ الإنسانية.. فالقدرُ يُنقذها من الغرور، والجزءُ الاختياري يُنجيها من الشعور بعدم المسؤولية. وليسا من المسائل العلمية والنظرية التي تُفضي إلى ما يناقض سرَّ القدر وحكمةَ الجزء الاختياري كليا؛ بالتشبث بالقدر للتبرئة من مسؤولية السيئات التي اقترفتها النفوسُ الأمارة بالسوء، والافتخارِ بالفضائل التي أنعمتْ عليها والاغترارِ بها وإسنادِها إلى الجزء الاختياري". (الكلمات :1 / 565)

ثانياً: لا تتحقق مسؤولية في ترتب الوسوسة: ففي موطن علاج داء (الوسوسة) يقول : " اعلم أنّه لا مسؤولية في تداعي الأفكار، لأنّها لا إرادية غالبا، إذ لا اختلاط ولا تماس فيها، وإنما هي مجرد مجاورة ولا شيء بعد ذلك، لذا فلا تسري طبيعةُ الأفكار بعضها ببعض، ومن ثم فلا يضر بعضها بعضا. إذ كما أن مجاورة ملائكة الإلهام للشيطان حول القلب لا بأس فيها، ومجاورة الأبرار للفجار وقرابتهم ووجودهم في مسكن واحد لا ضرر فيه، كذلك إذا تداخلت خواطر سيئة غير مقصودة بين أفكار طاهرة نزيهة لا تضرّ في شيء إلاّ إذا كانت مقصودة، أو أن تشغل بها نفسك كثيرا، متوهما ضررها بك. وقد يكون

القلب أحيانا مرهقا فينشغل الفكر بشيء ما - كيفما اتفق - دون جدوى، فينتهز الشيطان هـذه الفرصـة ويقـدّم الأخيلـة الخبيثـة وينثرها هنا وهناك.". (الكلمات :324/1).

ثالثاً: تحمل الروح لتبعات المسؤولية المعنوية في هـوى الـنفس: إذ يقـول: "فكـما أن البـذرة هكـذا فالإنسـانُ كذلك. فقد أودعتْ في ماهيته أجهزة مهمة من لدن القدرة الإلهية، ومُنحَ برامجَ دقيقة وثمينة من لدن القَـدَر الإلهـي. فـإذا أخطـأ هذا الإنسان التقديرَ والاختيار، وصَرَف أجهزتَه المعنوية تحت ثرى الحياة الدنيا وفي عـالم الأرض الضـيق المحـدود، إلى هـوى النفس، فسوف يتعفّنُ ويتفسّخ كتلك البذرة المتعفنة، لأجل لذةٍ جزئيةٍ ضمن عُمرٍ قصيرٍ وفي مكانٍ محصـور وفي وضـع متـأزم مؤلم، وستتحمل روحُه المسكينةُ تبعات المسؤولية المعنوية فيرحلُ من الدنيا خائبا خاسرا". (الكلمات :1 / 383)

3-5 المطلب الثاني: نماذج لفقه المسؤولية في رسائل النور:

أولاً: النورسي و فقهه للمسؤلية و تحملها وتفهم تبعاتها (مسؤولية الوظيفة) :

إن الهدف الذي كان يصبو إليه بديع الزمان منذ نعومة أظفاره والأمـل الـذي كـان يحـدوه وهـو في طريقـه إلى أنقـرة هـو حصول صحوة إسلامية تعم العالم الإسلامي، هذه الروح العظيمة توضحت في مباحثاته مع مئات العلماء في شرقي الأناضـول قبل مجيئه إلى إسطنبول بل توضحت أكثر عند قدومه إليها حتى حيّر السياسيين. ولم تغادره هذه المسؤولية الجسيمة والمهمـة الثقيلة والشوق الدائم قط. فكان يأمل أن يكون الإعلان عن الحرية والمشروطية في خدمة الشريعة الغراء، ويكون ذلك تباشـير سعادة الأناضول والعالم الإسلامي قاطبة، حتى إنه ألقى الخطب في ضوء ذلك الأمل وكتب المقالات بغية تحقيقه، وظهر ذلـك أيضاً في مؤلفاته ولاسيما في "سنوحات، لمعات وغيرها" مما ألفه في تلك المرحلة. وكان لا يتواني من التصريح بأن أعظم صوت مدوٍ في المستقبل هو صوت القرآن العظيم.

ولكن سقوط الدولة العثمانية التي أخذت على كاهلها خدمة الإسلام بعد العباسيين، وطوال مـا يقـرب مـن ألـف سـنة هـزّ العالم الإسلامي هزاً عنيفاً. فأصبح أعداء الإسلام الألداء مستولين على مركز الخلافة وبدؤوا باجتثاث جذور الإسلام من الأعماق. إلاّ أن القدرة الإلهية تجلت بإحسانه سبحانه وتعالى على بديع الزمان ليحمـل الرايـة في مثـل هـذه الظـروف الحالكـة الحرجـة». «فأتى أنقرة أملاً من أن يحظى بشيء لصالح الإسلام من المسؤولين فيها وليقدم معاونته لهم، إذ كما كانت حرب التحريـر حربـاً إيمانية لطرد الأعداء إلى خارج البلاد بعون الهي كان يأمل أن تستند الحكومة الجديدة إلى القرآن مباشرة في دفـع عجلـة الأمـور في البلاد وتجعل وحدة العالم الإسلامي مرتكزاً لها وتظهر الحضارة الإسلامية الكامنة في حقيقة الإسلام بـأجلى مظاهرهـا مـادةً ومعنىً». (السيرة الذاتية:9/ 214)

- إنّ إرادة الإنسان الجزئية وجزأه الاختياري، ضعيف وأمر اعتباري. إلاّ أن الله سبحانه -وهو الحكيم المطلق- قد جعل تلك الإرادة الجزئية الضعيفة شرطا عاديا لإرادته الكلية. أي كأنه يقول -معنىً-: يا عبدي أيُّ طريق تختاره للسلوك، فأنـا أسـوقُك إليـه. ولهذا فالمسؤوليةُ تقع عليك، فمثلا -ولا مشاحة في الأمثال-: إذا أخذتَ طفلا عاجزا ضعيفا على عاتقك وخيّرْتَه قائلا: إلى أين تريد الذهاب فسآخذك إليه، وطلب الطفلُ الصعودَ على جبلٍ عالٍ، وأنت أخذتَه إلى هناك، ولكن الطفـل تمـرّض أو سـقط. فـلا شـك ستقول له: أنت الذي طلبتَ! وتعاتبُه، وتزيدُه لطمةَ تأديب. وهكذا -ولله المثل الأعلى- فهو سبحانه أحكمُ الحـاكمين جعـل إرادةَ عبده الذي هو في منتهى الضعف شرطا عاديا لإرادته الكلية.

حاصل الكلام: أيها الإنسان! إنّ لك إرادةً في منتهـى الضـعف، إلاّ أنّ يـدَها طويلـة في السـيئات والتخريبـات وقـاصرة في الحسنات. هذه الإرادة هي التي تسمى بالجزء الاختياري، فسلِّم لإحدى يدي تلك الإرادة الدعاءَ، كي تمتد وتطال الجنة التي هي ثمرة من ثمار سلسلة الحسنات وتبلغ السعادة الأبدية التي هي زهرة من أزاهيرها.. وسلِّم لليد الأخرى الاستغفارَ كي تقصرَ يـدُها عن السيئات". (الكلمات :1 / 572).

وحول (مسؤلية الوظيفة) يقول: "أي: إنه –تعالى-هو الذي يهَب الموت، أي هو الذي يسرّحك من وظيفة الحيـاة، ويبـدّل مكانك في الدنيا الفانية، ويُنقذك من عبء الخدمة، ويحرّرك من مسؤولية الوظيفة. أي يأخذك من هذه الحياة الفانية إلى الحياة الباقية، وهكذا فهذه الكلمة تصرخ في أذن الإنس والجن الفانين وتقول: بُشراكم.. الموتُ". (المكتوبات :2 / 289).

- وفي (التسلّم أوالسلامة من المسئولية) يقول: " ثم العلم بأن درهماً من عمل خالص لوجه الله أولى وأرجـح مـن أرطـال من أعمال مشوبة لا إخلاص فيها. ثم إيثارُ البقـاء في مسـتوى التـابع دون التطلـع إلى تسـلم المسـؤولية التـي قلـما تسـلم مـن الأخطار". (اللمعات: 3 / 229)

ولبيان (النجاة من تبعات المسؤولية والتي تقع على أناس) يقول الإمام في معرض الاستئناس أثناء الدفاع عن نفسه في المحاكم :"

" فإن كان لي عمل مُخل بسعادة الأمة وسلامة الوطن ويلحقُ الضرر بمستقبلها، فالمسؤول عنه جميعُ أفراد الحكومة طوال تسع سنوات ابتداءً من المحافظ إلى أصغر موظف في مخفر القرية. فعلى هؤلاء جميعاً يقع الدفاع عني، وعليهم أن يستصغروا ما استهوَله واستعظمَه الآخرون، وذلك لينجوا من تبعات المسؤولية. ولأجل هذا أحيل جواب هذا السؤال إليهما،وأما ما يدفع مواطني هذه المحافظة عامة للدفاع عني أكثر من نفسي فهو أنَّ هذه تسع سنوات، ومئات الرسائل التي نسعى لنشرها، قد أثبتت تأثيرها في هذا الشعب الأخ الصديق المبارك الطيب".(اللمعات: 3 / 252)

كما أنه يوجه الناس عامة وطلبة النور خاصة بأن (يتحملوا المسؤولية كاملة) حيث يقول:" إذ إن خالقنا الذي يستخدمنا في هذه الخدمة ويدفعنا إليها رحيم وحكيم. فعلينا إذن أن نستقبل كلَّ مصيبة تنزل بنا بالرضى والسرور والالتجاء إلى رحمته تعالى والاطمئنان إلى حكمته، إنَّ أحد إخواننا الأبطال قد تحمل المسؤولية الكاملة المترتبة على طبع رسالة "الآية الكبرى".(الشعاعات :4 / 493)

وفي معرض التحدّث بنعمة الله وتحدي الجاهلين والمحاكمين المعاندين لحقائق رسائل النور يبيِّن (موقفه حول المسؤولية) ويقول؟

عشرين رسالة من رسائله الخاصة التي كتبها في ظرف سنة واحدة.. لو تم هذا ألا يمكن العثور في هذه الرسائل على عشرين جملة تضعه في موقف حرج وفي موقف المسؤولية؟ لذا فإن العجز عن العثور على عشرين جملة حقيقية تدين صاحبها من بين عشرين ألف نسخة من الرسائل والمكاتيب لعشرين ألف شخص طوال عشرين سنة برهان قاطع على أن الهدف المباشر لـ"رسائل النور" هو الآخرة، ولا علاقة لها بالدنيا". (الشعاعات :4 / 591)

ثانياً: الشيعة وترتب المسؤولية عندهم :

مسؤولية شيعة الخلافة: "وأرشد الأمة بأحاديث شريفة من أمثال: ((مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه)) (أخرجه البزار في مسنده (البحر الزخار):2/ 43 برقم (4299) ، وذلك لينقذ سيدَنا علياً من اليأس وينجي الأمةَ من سوء الظن به، إنَّ المحبة المفرطة التي يوليها شيعةُ الولاية لسيدنا علي رضي الله عنه وتفضيلهم له من جهة الطريقة لا يجعلهم مسؤولين بمثل مسؤولية شيعة الخلافة، لأن أهلَ الولاية ينظرون نظر المحبة إلى مرشديهم حسب مسلكهم. ومن شأن المحب؛ الغلو والإفراط والرغبة في أن يرى محبوبَه أعلى من مقامه. فهم يرون الأمر هكذا فعلاً.

فأهل الأحوال القلبية يمكن أن يُعذَروا في أثناء غليان المحبة لديهم وغلبتها عليهم، ولكن بشرط ألاّ يتعدى تفضيلُهم الناشئ من المحبة إلى ذم الخلفاء الراشدين وعداوتهم، وألاّ يخرج عن نطاق الأصول الإسلامية.

أما شيعةُ الخلافة فنظراً لدخول الأغراض السياسية فيها، فلا يمكنهم أن ينجوا من العداء والأغراض الشخصية، فيفقدون حق الاعتذار لهم، ويُحرَمون منه. حتى إنهم يظهرون انتقامهم من "عمر" في صورة حبّ "علي" وذلك لأن القومية الإيرانية قد جُرحت بيد سيدنا عمر رضي الله عنه. حتى أصبحوا مصداق القول: "لا لحب علي بل لبغض عمر". وإن خروج عمرو بن العاص على سيدنا علي رضي الله عنه وقتال عمر بن سعد سيدَنا الحسين رضي الله عنه في المعركة الفجيعة المؤلمة، كل ذلك أورث الشيعة غيظاً شديداً وعداءً مفرطاً لاسم "عمر".

أما شيعة الولاية فليس لهم حق انتقاد أهل السنة والجماعة. لأن أهل السنة كما لا يُنقِصون من شأن سيدنا علي رضي الله عنه، فهم يحبونه حباً خالصاً جاداً، ولكنهم يحترزون من الإفراط في الحب الوارد ضررُه وخطرُه في الحديث الشريف.

أما الثناء النبوي لشيعة علي رضي الله عنه كما ورد في أحاديث نبوية فإنما يعود إلى أهل السنة والجماعة لأنهم هم المتبعون لسيدنا علي رضي الله عنه على وفق الاستقامة، لذا فهم شيعةُ سيدنا علي رضي الله عنه."(اللمعات: 35/3)

ثالثاً: تواجد النصارى واليهود في الحكومات الإسلامية ومدلول ذلك :

مدار المسؤولية : "إن وجود النصارى واليهود في الحكومات الإسلامية، وكذلك وجود المسلمين في الحكومات النصرانية والمجوسية يدل على أنه لا يمكن من الناحية القانونية التعرض لأي شخص معارض لم يتعرض بسوء إلى إدارة الدولة أو إلى أمنها بشكل فعلي لأن الاحتمالات والإمكانات لا يمكن أن تكون مدار مسؤولية، وإلا استلزم تقديم الجميع للمحاكم على أساس احتمال قيامهم باقتراف الجرائم. (الشعاعات : 614/4).

رابعاً: أهل كُردستان ورؤيتهم لمسؤوليهم :

يقول العلامة النورسي الكُردي: " إن هذه الأمة الإسلامية مع أن قسماً منهم لا يؤدون الصلاة. إلاّ أنهم يتطلعون أن يكون رؤساؤهم صالحين أتقياء حتى لو كانوا هم فسقة. بل إن أول ما يبادر أهل كردستان (الولايات الشرقية) مسؤوليهم هو سؤالهم عن صلاتهم. فإن كانوا مقيمين لها، فبها ونِعمَت ويثقون بهم، وإلاّ فسيظل الموظف المسؤول موضع شك وارتياب رغم كونه مقتدراً في أداء واجباته. ولقد حدثت في حينه اضطرابات في عشائر «بيت الشباب» فذهبتُ لأستقصي أسبابها، فقالوا: إن كان مسؤولنا «القائمقام» لا يقيم الصلاة ويشرب الخمر، فكيف نطيع أوامر أمثال هؤلاء المارقين من الدين؟". (المثنوي العربي النوري: 6 / 141).

خامساً: السجناء وزرع روح المسؤولية :

أما قسم الفقراء والضعفاء المساكين، فلأنهم كانوا لا يكسبون ثواباً كثيراً خارج السجن بل يتحملون مسؤوليات شاقة، فهذا السجن الذي يُكسبهم الخير الكثير والثواب العظيم ومن دون أن تكون على عاتقهم مسؤولية ما، والمشقات التي تتخفف بالتسلي بين الإخوان.. تكون مبعث شكر لهم .(الشعاعات : 4 / 518).

7 - الخاتمة

لقد تمخض البحث عن جملةٍ من النتائج أبرزها ما يأتي:

أولاً: المسؤولية هي : "حال أو صفة من يسأل عن أمر تقع عليه تبعته." (تزكية النفس بين الأمانةوالمسؤولية: 259)، **أو:**

ثانياً: تبيّن أن العقيدة الإسلامية هي أساس المسؤولية، وأنها أساس الحياة وهي واجب إنساني لاينفك عنه، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (سورة الذاريات/56)، فالإنسان العاقل المكلف يكون مسؤول عما بدر منه من قول او فعلٍ امام الله تعالى، وأمام نفسه وأمام الناس والإنسانية جميعاً.

ثالثاً: إن أساس «رسائل النور» وهدفها - كما يقول عنها الإمام النورسي: هو إظهار الحقيقة القرآنية والعمل من أجل «الإيمان التحقيقي». (الشعاعات :4 / 606) ،وللإمام النورسي –رحمه الله- رؤية ومنهج تربوي خاص لزرع روح المسؤولية- بجميع أنواعها - نظرياً ونقلها الى التطبيق العملي.

رابعاً: يرى النورسي أن الإنسان هو أعظم بذرة في الكون، وأسمى مخلوق فيه، وقد أودع الله تعالى فيه استعدادات وقابليات كبيرة تمكنه أن يؤدي دوره الذي خلق من أجله وهو خلافة الأرض واستعماره على وفق ما تتطلبه العدالة الإلهية، ومحاولة النهوض بأعباء ترسيخ القيم النفيسة، وتثبيت الأخلاق الرصينة، فتسمو حضارته لتكون مثالا للكمالات، ونموذجا للعز والرفعة في إطار النهوض بأعباء العبودية المطلقة لله تعالى القائمة على الإخلاص.

خامساً: إن المسؤولية ملازمة للإنسان شاء أم أبى منذ بلوغه وكمال عقله إلى موته وهو مسؤول عن حياته، قال تعالى: {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا} (سورة الإسراء/13).

سادساً: إن الإيمان في نظر النورسي نور صادر من الفطرة التي غرسها الله تعالى في قلوب العباد، وشعاع النور يحتاج إلى مولد ينشطه لينبعث وينعكس على سائر الموجودات، وهذا المولد هو التفكر في المشاهدات، ليحصل في القلب يقينا تاما أن كل ما في الكون لم يخلق عبثا ولا سدى، ولكل شيء وظيفة ومسؤولية لابد من القيام بها لكي ينتظم مسار الكون، ويصان من الضياع والتلاشي.

سابعاً: أرشدنا القرآن الكريم والسنة النبوية العطرة إلى أن المسؤولية عينية لا كفائية، بمعنى أن كل فرد إنساني مسؤول، فالكل راع والكل مسؤول عن رعيته.

سادساً: إن التهرب من المسؤولية والفتور عن أداء الوظيفة لا يتلاءم مع الكرامة الإنسانية، لأن الإنسان خلق لأن يكون مسؤولاً في الأرض، والتقصير في هذا الأمر هو تقصير في حق النفس وحق الله تعالى، وخروج عن حكمه.

ثامناً: إن النفس الإنسانية حريصة كل الحرص على تلبية شهواتها وهذا يدفع بالمرء أن يسعى وراء الدنيا لتوفير اللذائذ للنفس فيهون على الإنسان ترك مهامه الأصلية ويتطلع بحرص وشره لتحصيل المنافع الزائلة وهذا من شأنه أن يضعف الإنسان بالتدريج فيكون عبدا لنفسه الأمارة لا حاكما عليها، ويستفحل مرض الأنانية والغرور في قلبه فلا يرى إلاّ مصالح نفسه فحسب.

تاسعاً: إن اليأس يولد ضعفاً في الإنسان مما يدفعه إلى الهروب من المسؤوليات فيكون اليائس فردا عاجزا لا يفقه الأهداف التي خلق من أجلها، فيظن أن الطرق قد أنسدت أمامه فلا مخرج ولا ملجأ.

عاشراً: يرى النورسي أن التقصير في أداء المهام، أو الفتور في الوظائف، يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وإيمان الفرد بمبدأ المساءلة والشعور بها تنشط فيه الرغبة والهمة على أداء هذه الوظائف بصورة صحيحة وسليمة.

الحادي عشر: قد ينتاب الفرد شعورا بالفتور في أداء المسؤوليات الملقاة على عاتقه، وأفضل وسيلة تقوي فيه الشعور بالنهوض بأعباء المسؤولية على أتم وجه هي الجماعة أو العمل الجماعي المنظم ضمن دائرة: (توحيد المساعي وتوزيع الأعمال).

الثاني عشر: إن كثرة المحن، وتنوع البلاء الذي نزل بالنورسي جراء خدمته للقرآن الكريم وبيان حقائقه علمته أن الصبر لا يأتي عبثا ولا اعتباطا بل لابد أن يكون وراءه شيء خفي يدعمه وذلك الشيء هو الإيمان بمبدأ (أنا عبد لله تعالى) والعبودية تقتضي الوفاء للمعبود الحق، وبذل الوسع للخضوع له وتثبيت هذه الملكة في قلوب الناس فتتحد مشاربهم، وتتفق مقاصدهم ليكونوا ربانيين يتحاكمون فيما بينهم على بصيرة من الله تعالى، فيكون كل فرد بمثابة أمة يؤدي وظيفته في الحياة.

الثالث عشر: يرى النورسي أن الإنسان بما أنه محارب من قبل النفس الأمارة والشيطان يكون دائما بحاجة شديدة لمعين يقوي به ظهره، ويشد به إزره ليتغلب عليهما وأن يمضي قدما نحو أداء مهامه، وخير معين، وأفضل ناصر هو التوجه إلى الله تعالى بالدعاء والتضرع والتماس النصرة من عزيز بيده الأمر والحكم.

الرابع عشر: لابد أن يصل الشعور بالمسؤولية إلى درجة يعيش الإنسان معها في كافة المجالات الدينية والدنيوية العبادات والمعاملات والاخلاق .

نسأل الله العلي القدير أن ينورنا بنور الإيمان، ويهب لنا من لدنه رحمة وعزما، تمكننا من أداء المسؤوليات على الوجه الذي يرتضيه فضلاً منه وإكراماً ، كما نسأله تعالى أن يثبت خطانا على دين الإسلام، ويفقهنا أسرار كتابه العزيز، وصلى الله على سيدنا محمد الذي علّم الإنسانية الشعور بالمسؤولية المحسوسة والمعنوية وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم

1) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: سعيد النورسي(ت/1379هـ)،تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، القاهرة ط 6، 2011م.
2) تزكية النفس بين الأمانة و المسؤولية في ضوء الكتاب والسنة (ماجستير): طرابلس- لبنان ، جامعة الجنان 1419هـ - 1998م.
3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر (ت/ 3210هـ) ، دار الفكر 1405هـ
4) الحاجات الإقتصادية في المذهب الإقتصادي الإسلامي: الكبيسي أحمد عواد محمد، ، بغداد، العاني، ط 1 1408هـ - 1987م.
5) سنن أبي داود: لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر .
6) السيرة الذاتية: سعيد النورسي (ت/1379هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، مصر-القاهرة، ط6، 2011م.
7) الشعاعات: سعيد النورسي (ت/1379هـ)، ، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، مصر-القاهرة، ط 6، 2011م.
8) صحيح البخاري(الجامع الصحيح المختصر): لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت256هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة,بيروت، ط3، 1407هـ .
9) صحيح مسلم: لأبي حسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث – بيروت.
10) صيقل الإسلام: سعيد النورسي (ت/1379هـ)، ، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، مصر-القاهرة، ط6، 2011م.
11) الفلسفة : المركز التربوي للبحوث والانتماء، لبنان ، مطبعة زيدان (د.ت).
12) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1405، ط 4.
13) الكلمات: سعيد النورسي(ت/1379هـ)، ، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، مصر-القاهرة، ط6، 2011م.
14) اللمعات: سعيد النورسي (ت/1379هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، مصر-القاهرة، ط6، 2011م.
15) المثنوي العربي النوري: سعيد النورسي (ت/1379هـ)، ، تحقيق: إحسان الصالحي، سوزلر، مصر-القاهرة، ط 6، 2011م.
16) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث - القاهرة , بيروت – 1407 هـ
17) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – مصر.
18) مسند البزار(البحر الزخار): أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي المعروف بالبزار (ت/292هـ)،هيئة التحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري الشافعي (18مجلد)، مكتبة العلوم والحكم ،المدينة المنورة ط 1،(بدأ 1988، انتهاء 2009م).
19) معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت/ 1424هـ) ، ط 1،: عالم الكتب 1429 هـ - 2008 م
20) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، دار الدعوة.
21) مفهوم المسؤولية في القرآن الكريم: محمود ناصر زوراو (جامعة بيروت الإسلاية- كلية الشريعة)1436هـ -2015م.
22) المكتوبات: سعيد النورسي (ت/1379هـ)، ، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط6 ، 2011م.
23) الملاحق: سعيد النورسي (ت/1379هـ)، ، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، مصر-القاهرة، ط 6، 2011م.

(کاریگەری باوەڕ لە گەشەپێدانی هەستکردن بە بەرپرسیاریەتی لە روانگەی پەیامەکانی نور).

پوختە

سوپاس وستایش بۆخوای گەورەو دلوڤان ومیهرەبان کە باوەری بەخشیەوە پێمان، وە یەکسانی بەخشیوە بە مرۆڤەکان وە بە دادوەری پاداشتیان دەداتی وتۆڵەیان لێدەکاتەوە، درودو سەلام بۆ گیانی پێغەمبەری پێشەوامان کە فەرمویەتی: ((هەموویەکێک لە ئێوە شوانە واتە: بەرپرسن، وە هەمویشتان بەرپرسیارن لەژێر دەستەکانتان))..

ئەم توێژینەوەی لەبەر نیگاتدایە لێۆلینەوەیەکی زانستی یە بۆدەرخستنی کاریگەری باوەڕ لەسەر هەستکردن بە بەرپرسیاریەتی، لەروِوانگەی دیدی پێشەوا نوورسی ، بەویاسا ورێسایانەی کە لە "پەیامەکانی نور" دیاری کردووە، سەبارەت بە سەرجەم لایەنەکانی ژینی مرۆڤ لەبواری ئیمانی و کۆمەڵایەتی وژیواری ئایینی و ژینی لەسەر سەرجەم ئاستەکانی تاک و خێزان و کۆمەڵگا.بەجۆرێک بەرپرسیاریەتیەکی ئەوتۆ کە بەرجەستەبێت و هەقیقی بێت دوور بێت لە دروشم و باق وبریقی ناراستی. هەربۆیە توێژینەوەکە بەناو نیشانی: (کاریگەری باوەڕ لە گەشەپێدانی هەستکردن بە بەرپرسیاریەتی لە روانگەی پەیامەکانی نور).

لەم سۆنگەیەوە توێژینەوەکە جەختی کردووەتەوە لەسەر ئەم بابەتە لەچوار بەشی سەرەکی دا، لە پاش پێشەکییەکی کورت لەم بارەیەوە، پاشان بەشی یەکەم: تایبەتە بە (پەیوەندی مروف بە بەرپرسیاریەتی لە پەیامەکانی نور)،کە پێکهاتووە لەدوو تەوەر، کە یەکەمیان: بنەمای بەرپرسیاریەتی لە قورئان وفەرمووەدە، وەلەتەوەرەی دووەمدا: بەپرسیاریەتی لە پەیامەکانی نوور.

بەشی دووەمیش: دەستنیشانکردنی: (جۆرەکانی بەرپرسیارەتی یە لەپەیامەکانی نوور)، لەدوو تەوەردا: کە بەرپرسیاریەتییە لەخزمەت پروەردگار، وە بەرامبەر دروستکراوانی خوای گەورە.

بەشی سێهەمیش: ئاماژە دانە: بە هەستکردن بە پاڵنەرەکانی بەهێزکردنی بەرپرسیاریەتی و رێگرەکانی لە پەیامەکانی نوور لە دوو تەوەردا ، وەبەشی چوارەم وکۆتایش: یاسا نووریەکان لە بنەمای بەرپرسیاریەتی وچەند نمونەیەک لە وبارەوە لە دوو تەوەردا بەهەمان شێوە. وەب توێژینەوەکەش کوتای هاتووە بە بە کۆتاییەک کە ئاماژە بە چەندو خاڵک دەدات وەک ئەنجامەکانی ئەم توێژینەوە.

داواکارین لە پەروەردگاری جیهان کە ئەم هەوڵە وەربگرێت وبیکاتە مایەی رەزامەندی میهرەبانی خۆی ، تەنها هەر ئەوە کە چاوەروانی لێخۆشبونی لیدەکریت

Nursi's approach to the establishing of ethics Through Noor Teachings

Abstract

With the name of Allah, the most Gracious and the ever merciful

Praise be to Allah who has blessed us with faith, and has achieved justice in us by saying: "Every soul that has earned a hostage" (Al-Muddathir 38) and guided man to Islam and created in it the consideration and research to be responsible and peace and prayer on the guidance of mankind and the Gardens, Who are responsible for the promotion of virtue and forbidding evil, with justice, wisdom and charity. After:

This research is a modest effort to demonstrate the influence of faith through the rules and ideas conveyed in the messages of light to individuals, families and society to establish the sense of responsibility in man and to carry the divine trust in all aspects of life and hostile matters. Through letters of light). It is divided into an introduction and three investigations and conclusion, as the introduction of the reasons for selectionThe title of the research and plan, and then come the four mabahith as follows:

The first topic: the relationship of man to faith and responsibility in the messages of light, in two demands: First: the principle (responsibility) in the Koran and Sunnah. While the second: human and responsibility in the letters of light.

The second topic: Types of responsibilities in the letters of light in two demands: First: responsibility to the great Creator. The second is responsibility towards creatures.

While the third topic addresses the statement: the sense of responsibility (its components and constraints) in the messages through two requirements:

The first: the factors that strengthen the sense of responsibility in the letters light, and the second: the obstacles to the sense of responsibility.

Finally, the fourth topic: The Normative rules in the jurisprudence of responsibility and models in it, as well as in two demands: First: the rules of Nuria in reaching a sense of responsibility. The second: models of the jurisprudence of responsibility in letters.

Then conclude the research with a conclusion in which the most important conclusions, asking God to be useful and calamity and the reason of guidance and reconciliation of God Almighty, which is the conciliator of the right.